الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف - المسيلة -
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: الفلسفة

الموضوع:

عنوان البحث : نظرية المعرفة عند توما الإكويني

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبة:
بن محجوبة أنيسة
زيطاري ابتسام

إشراف:
الأستاذ: ضيف الله خوني

السنة 2017-2018

كلمة شكر وعرفان

نشكر الله العلي القدير الذي أنار لنا درب العلم ومكننا من إنجاز هذا العمل المتواضع نسأله عز وجل أن يجعله في ميزان حسناتنا

نتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الفاضل ومؤطر هذا العمل ضيف الله خوني الذي كان قدوة ومثالا حسنا لنا بأخلاقه وجهوده، أدامه الله ذخرا لنا ولجامعتنا

كما نشكر السادة أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا علينا بمناقشة وقراءة هذا العمل

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر والعرفان إلى كل من قدم لنا يد العون والمساعدة لإنجاز هذا البحث سواء من قريب أو بعيد من دون إسدال ستار النسيان نتوجه بالشكر الجزيل إلى جامعة محمد بوضياف بالمسيلة التي احتضنتنا طيلة مشوارها الجامعي وإلى كل أساتذة وعمال قسم الفلسفةوإلى كل من أعاننا طيلة مسيرتنا العلمية والتعليمية إلى يومنا هذا

بن محجوبة أنيسة- زيطاري إيمان

مقدمة

مقدمة:

يعد القديس توماس الإكويني (1274.1224) TOMAS DAQUIN من أبرز أعلام اللاهوت المسيحي أسس مذهب فكري جديد يهدف إلى إعادة النظر في الأصول الدينية المسيحية على أساس العقل والفلسفة، حاول الإكويني أن يوفق إلى حد كبير بين فلسفة أرسطو العقلانية والإيمان المسيحي وذلك بإدخال الأرسطية العقلانية في اللاهوت المسيحي خدمة للدين.

وفي نظرية المعرفة عنده وضع تناسقا بين العقل والإيمان فحيثما يقع العقل في تناقضات وجب الرجوع إلى الإيمان وعليه يعد القديس توما الإكويني من مؤسسي العلم اللاهوتي ،وقد كان أرسطيا إلى أقصى حد بأفكاره الميتافيزيقية وقد نظر إلى الله أنه هو الوجود من حيث هو موجود، وسعى إلى تعريفنا بالأسباب العميقة لوجوده، لكن موقف اللاهوت المسيحي لم يكن واحدا وثابتا اتجاه الفلسفة فقد ظهر اتجاه يعادي الفلسفة وأنه يمنع تحت طائلة الحرام قراءة كتب أرسطو جهرا أو خفية وكذلك الشروحات حولها ،في هذا الحين وخلال القرن الثالث عشر كان الإكويني يصيغ لاهوتا توفيقيا ينسجم مع الفلسفة متأثرا برياح الفكر القادم من الحضارة الإسلامية أمثال الفيلسوف الإسلامي ابن رشد.

وقد رأى الإكويني أن الفلسفة كلها تتجه نحو الله الذي هو غاية الإنسان وسعادته وهو مبدأ كل معرفة وأن الفلسفة لا تناقض الدين بل تخضع له، وأن العقل قد خلق من أجل الحقيقة التي تحقق سعادته، وأن السعادة لا تتحقق إلا في التأمل في الله ،وبذلك فإن بحثنا هذا هو محاولة للإجابة عن الإشكالية التالية: إن العلم بالله الذي هو حاصل للناس جميعا لا يكفي، ولا يكفي أن نعلم به علما صادرا عن التأمل العقلي، ولا يكفي أن نعلم به علما صادرا عن الإيمان، فالإنسان في هذه الحياة لديه رغبة طبيعية في معرفة ماهية وطبيعة السبب الأول كما أن لديه غاية قصوى هي بلوغ السعادة، ولا يمكن للإنسان الارتفاع إلى النظام الذي يعلو عن الطبيعة ومن ناحية أخرى فإن السعادة الكاملة والمطلقة هي برؤية الله

مقدمة

والعقل الإنساني قد خلق من أجل بلوغ الحقيقة التي هي رؤية الله ،وفي هذه الحياة لا يمكن للإنسان بلوغ السعادة، ألا تتحقق السعادة عند الإنسان ؟وهل يمكن بلوغ هذه السعادة ؟ألا تكون معرفة الله هي سعادة الإنسان ؟وبالتالي يصبح مبدآ لكل معرفة ؟وهل هذه المعرفة تتم بقراءة النص الديني أم بالتأمل العقلي أو معا ؟

إن رصد وتتبع مسار الإشكالية التالية جعلتنا نهتدي إلى خطة بحث استوفت ثلاث فصول وفقا للترتيب التالي مقدمة وفيها عرفنا بالموضوع وطرحنا إشكالية ثم صرحنا بالمنهج المتبع الذي استعملناه وخطة البحث، أما خطوات البحث ومراحله فكانت كالتالي الفصل الأول: الخلفية التاريخية لفكر الإكويني، ويندرج تحت هذا الفصل ثلاث مباحث الأول طبيعة المناخ الفكري في الفلسفة المسيحية، والثاني السياق الفكري لفلسفة توما الإكويني، أما الثالث فجاء بعنوان المعرفة بين توما الإكويني وابن رشد.

والفصل الثاني: كان بعنوان المعرفة الإلهية عند توما الإكويني، يندرج تحته ثلاث مباحث الأول بعنوان الله في فكر الإكويني، والثاني الوجود، والثالث الماهية والوجود.

وصولا إلى الفصل الثالث بعنوان: التأمل العقلي عند توما الإكويني والذي بدوره تضمن ثلاث مباحث، المبحث الأول بعنوان معرفة النفس الإنسانية عند توما الإكويني، والثاني بعنوان المعرفة العقلية عند توما الإكويني، والثالث بعنو ان المعرفة بين العقل والنقل.

وأنهينا بحثنا بخاتمة عرضنا فيها جملة النتائج التي توصلنا إليها وقد اعتمدنا على المنهج التحليلي والمقارن في انجاز هذا البحث.

وكانت هذه الدراسة لأسباب عديدة منها: محاولة تناول الموضوع لإرضاء الفضول العلمي، حب التطلع لفلسفة العصور الوسطى وخاصة الفكر المسيحي، وتكمن أهمية هذا الموضوع في الاستفادة من أهم النتائج المتحصل في بحثنا هذا والأخذ بها .

ولقد واجهتنا صعوبات في انجاز هذا البحث من بينها هي تكرار الأفكار في المراجع وقد عملنا على ضبط أفكارنا وفق خطة بحثنا بفضل الله وعونه وبفضل توجيهات الأستاذ المشرف لإنجاز هذا البحث المتواضع.

الفصـــل الأول:

الخلفية التاريخية لفكر الإكويني

المبحث الأول: طبيعة المناخ الفكري في الفلسفة المسيحية

المبحث الثاني: السياق الفكري لفلسفة توما الإكويني

المبحث الثالث: المعرفة عند توما الإكويني وابن رشد

لكل فلسفة مناخها الخاص بها، ولكل عصر مناخه السائد والخاص به ومن بين العصور نذكر العصر الوسيط تكونت فيه فلسفات يهودية وا إسلامية ومسيحية وهذه الأخيرة تعرف في العصر الوسيط بالفلسفة المدرسية حيث كان للآباء الكنيسة دورا مهما في الدفاع عن العقيدة المسيحية، ولقد مر الفكر المسيحي بمراحل وعوامل عدة ساعدت على نشأة الفلسفة المسيحية وتطورها بالإضافة إلى أهم الفلاسفة والمفكرين في ذلك العصر أمثال القديس توما الإكويني الذي ترك إرثا لاهوتيا أثر طويلا مازال يؤثر في الكنيسة الكاثوليكية بالإضافة إلى أهم الفلاسفة الذين كان لهم الأثر الكبير على فكر الإكويني كفلاسفة اليونان والفلاسفة المسلمين وما قدموه من فكر ساعد على بروز الفلسفة المسيحية.

المبحث الأول: طبيعة المناخ الفكري لفلسفة الإكويني.

تكشف الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط على مدى تأثرها العميق بالفكر اليوناني والفكر الإسلامي، فكانت للفلسفة اليونانية سواء أرسطية أو أفلاطونية أثر كبير على هذه الفلسفة المسيحية، فقد قام المسيحيون بدراسة الفلسفة اليونانية وبصفة خاصة الأفلاطونية، أما الفكر الإسلامي الذي وصل للغرب بفضل ترجمة مفكري الإسلام وتظهر عوامل بروز الفلسفة من خلال الحديث على نشأتها ومراحل تطورها.

مراحل تطور الفلسفة المسيحية

أ-المرحلة الأولى:

وتمتد هذه الفترة من القرن الخامس إلى القرن الحادي عشر وهنا سندرس شخصية قوية لما كان لها من الأثر العظيم في الفلسفة المسيحية، ألا وهو القديس أوغسطين (440.345م) saint augustin لما كان له من الأثر العظيم في تبلور التفكير المسيحي والثقافة المسيحية فقد عرفها أولا في سن متقدمة عن طريق القديس أمبروز يوس Ambroise (339, 397م) وقد ظهرت له المسيحية أولا بوصفها مذهب في الخطيئة، والحب، واللطف وظهرت له ثانيا في شكل فكرة كلية، وهي فكرة الكنيسة الأبدية التي ابتدأت بآدم وستنتهي بملكوت الله. وظهرت له ثالثا بحسبانها تصاعدا للإنسان الروحي Homospiritualis من حيث أن المسيحية تضع قيما متصاعدة في الحياة الإنسانية وتنتهي بالقيمة العليا قيمة الإنسان في ملكوت الله"[1]، الفلسفة المسيحية هي الفلسفة الحقيقية الخالصة في نظر القديس أوغسطين وقد ظهرت له أولا في فكرة الخطيئة والتي لا يمكن التكفير عنها إلا باللطف الإلهي أيضا أنها فلسفة مؤمنة تقوم على الإيمان وهي تتناول الله وصفاته، والإنسان من حيث صلته بالله والطبيعية من حيث صلتها بالله، والإيمان المسيحي هو المعيار الذي نميز به بين الحق والباطل.

[1]-عبد الر حمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، دار القلم، بيروت، ط3، 1979، ص 17.

"وفي أوائل القرن الخامس يلمع اسم القديس أوغسطين الذي اعتنق المسيحية بعد أن تنقل بين مختلف الأديان الوثنية والمذاهب الفلسفية، ونادى بوجوب إخضاع العقل للإيمان الديني، ويرجع إليه بصفة خاصة في جعل فلسفة أفلاطون هي السائدة في العالم المسيحي حتى القرن الثالث عشر، حيث تبدأ فلسفة أرسطو في أن تسود بدلا منه"[1]، اعتبر القديس أوغسطين أن المسيحية هي الديانة الأقرب للحقيقة، وقد جعل القديس من فلسفة أفلاطون هي الفلسفة السائدة في عصره وقدلعبت هذه الفلسفة دورا كبيرا في تفكيره لإيمانه ورأى القديس أن الإيمان يسبق العقل لأن الإيمان يجب أن يتقدم العقل لكي يتعقله.

"وهو يعرض أفلاطون عرضا يبدي فيه ميلا شديدا إلى هذا الفيلسوف الذي يضعه في مقدمة الفلاسفة جميعا، فكافة هؤلاء ينبغي أن يفسحوا له مكان الصدارة بينهم: "ليرحل طاليس بمائه، وأنكسمانس بهوائه، والرواقيون بناره، و أبيقور بذراته "فهؤلاء جميعا كانوا ماديين، أما أفلاطون فلم يكن؛ إنه رأى أن الله لم يكن كائنا ماديا بل الأشياء المادية كلها قد استمدت وجودها من الله[2]"، نجد هنا أوغسطين وهو يبدي إعجابه الشديد وتأثره بفلسفة أفلاطون(427 .347 ق م) Platon فقد جعل فلسفته هي السائدة في عصره وأنها الأقرب للمسيحية وهو خير الفلاسفة جميعا في المنطق، كما أنه يذهب لما ذهب إليه أفلاطون بأن الله ليس بكائن مادي وأنه هو الوجود الأول وهو علة وجود الأشياء وأن الأشياء جميعا تستمد وجودها من الله.

ب- المرحلة الثانية:

انتشرت الفلسفة الأرسطية في القرن الثاني عشر انتشارا واسعا وكان لها أثر كبير على تفكير فلاسفة ذلك العصر وشكلت منبعا مهما لمفكري هذا العصر ومن بين المفكرين

[1]- الشيخ كامل محمد محمد عويضة: الأعلام من الفلاسفة توماس الإكويني الفيلسوف المثالي في العصور الوسطى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ص27.

[2]- برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة زكي نجيب محمود، مج 2، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010، ص 86.

نجد القديس أنسلم (103. 1109 م) Anselme de Cantorbéry الذي اجتهد وهو يعرض فكره الفلسفي بطريقة يستند فيها إلى العقل غير أن الإيمان سابق عن التعقل.

"قام القديس انسلم، واختط لنفسه طريقا وسطا بين الديالكتيين وبين رجال اللاهوت. وقال إن الديالكتيين مخطئون لأنه لابد من البدء أولا بالإيمان وليس العقل بأسبق على الإيمان، ولا يمكن للعقل هذا من أن يؤدي وحده إلى الإيمان. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قال إن رجال اللاهوت يرتكبون إهمالا شنيعا حين ينصرفون عن عقل مضمون الإيمان، والواقع أنه لابد من الإيمان، لكي يتعقل مضمون هذا الإيمان"[1]، انشغل القديس أنسلم بمشكلة العقل ورأى أن الإيمان يسبق التعقل، ونجده ينتقد الديالكتيين بادعائهم إنكارهم للمعتقدات التي تعتمد على الوحي دون تعقل، واللاهوتيين لإهمالهم للذين انصرفوا عن تعقل مضمون الإيمان، واعتبر أن الإيمان شرطا ضروريا للوصول إلى مبرراته أي أن الإيمان سابق عن التعقل.

وإذا رأينا أن العقل يناقض مضمون الإيمان فعلى العقل أن يخضع ويؤمن. فالمرجع في النهاية إلى الإيمان، ولكن يخفف من هذا أن يقال أن أنسلم حاول دائما أن يصل إلى برهنة عقلية، ونله قال لهؤلاء اللاهتيون إن الحقائق لا يمكن أن تدرك مرة واحدة، وإنه مهما فعل آباء الكنيسة فلم يمكنهم أن يدركوا الحقائق كلها، وإن ما ورثناه عن الآباء ليس كافيا من الكتب المقدسة"[2]، هنا يقر القديس أنسلم أن الإيمان يسبق التعقل، وينتقد رجال الدين في تقليدهم المفرط لآباء الكنيسة وتمسكهم بأقوال الكنيسة، ويعتقد القديس أن المسيحية لا تقتصر فقط على آباء.

[1]- عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 68.

[2]- نفسه، ص 69.

الكنيسة وهي أوسع من ذلك، وقد دعى في ذلك إلى تحرير العقول وفهمها فهما لائقا فهو لا يكتفي بالرجوع إلى الكتاب المقدس بل جعل فكره الفلسفي بطريقة يستند فيها إلى العقل.

نجد أيضا القديس "أبيلارد الذي اهتم بمشكل الكليات وقد " أراد أبيلارد أن يوفق في مشكلة الكليات بين الواقعيين واللفظيين، أو على حد تعبيره بين أفلاطون وأرسطو، يقول أبيلارد "إن الكليات تطلق على أفراد كثيرين، فلا يمكن إذن أن تكون كلمات أو أشياء، لأن الشيء يطلق على الشيء، وا ٍلا لأمكن أن يوجد الشيء الواحد في أماكن متعددة، فيكون سقراط في أثينا وروما في آن واحد"[1]، في هذه القضية التي يسوقها أبيلارد (1079 .1142م) Abelard ضد الاسميين واللفظيين هي أن الكلي عنده هو القضية واللفظ يكون كليا بما أنه جزء من القضية وبهذا نستطيع القول بأن اللفظ يصح أن يكون كليا فتكون كليته يوجد داخل القضية.

ج- المرحلة الثالثة:

وهي من أهم المراحل في العصر الوسيط، فمن الناحية الفكرية استلهمتهم المعارف الأرسطية إلا أنها بقيت خاضعة بتقاليد الفكر اللاهوتي المسيحي.

نجد هنا القديس ألبرت الكبير وقد تأثر بالفكر الأرسطي "واستحق ألبرت الكبير لقب الأستاذ العالي Doctor Uni vrsalis لأنه أقبل على العلم اليوناني – العربي يستوعبه بشغف هائل. وكان هدف ألبرت الرئيسي، وهو من أشد المعجبين بأرسطو، أن يتمثل فكر المعلم الأول، ونجح بالفعل في ذلك إلى حد كبير وبذلك مهد للعمل الضخم الذي سيقوم به من بعده تلميذه توماس"[2]، سعى ألبرت الكبير(1206.1280)ALBERT LE GRAND

[1]- عبد الرحمان بدوي: فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 83 .

[2]- زينب محمود الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار الثقافة، القاهرة، د ط ،1983، ص 142 .

في نشر تعاليم الأرسطوطالية، وقد سعى إلى إرساء فكر أرسطو(384 ،322 ق م) ARISTOS ، في عصره وجعله مرجعهم الرئيسي، وآرائه في إرساء معالم الفكر اللاهوتي المسيحي والذي شاركه في ذلك تلميذه توماس الإكويني (TOMAS(1224.1274 DAQUIN.

"اتخذت الكنيسة من تلك الفلسفة دعامة لها، وأصبحت الفلسفة الأرسطية على يد توماس الإكويني جزء لا يتجزأ من العقيدة الكاثوليكية، وكان هذا الفيلسوف الديني (1274) أشهر فلاسفة عصره، وكان متأثرا في كتاباته بالفلاسفة المسلمين"[1]، بعد أن اشتدت الحركة الفكرية في أوربا بفعل الترجمة وبعد أن كانت السيادة لفلسفة أفلاطون خلال القرن الثالث عشر، فإنه مع القديس توماس الإكويني كانت السيادة لفلسفة أرسطو، فأصبحت الفلسفة الأرسطية هي الفلسفة التي بنيت عليها دعائم وركائز الكنيسة وصارت بذلك جزءا من العقيدة الكاثوليكية.

ويعتبر"القرن الثالث عشر الذي يعتبر أوج الفلسفة المدرسية هو نواة الجامعات الأوروبية التي ستنتهي بإبراز معالم التفكير الحديث منذ القرن الرابع عشر، وهو التفكير الذي يمتاز بالحرية والشك والاعتماد على العقل الحر لا على السلطة والإرهاب"[2]، شهدت هذه الفترة في العصر الوسيط ظهور عوامل عدة ساعدت في تحرر الفكر وزعزعت سلطة الكنيسة بعد أن كانت هي السلطة السائدة، فتحررت العقول واطلعت على الدنيا بعد أن كانت منغلقة ولا سلطة للعقل خارج الكنيسة.

[1]- الشيخ كامل محمد محمد عويضة: الأعلام من الفلاسفة توماس الكويني الفيلسوف المثالي في العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 30.

[2]- نفسه، الصفحة نفسها.

2- ارتباط الفلسفة بعلم اللاهوت:

ظلت الكنيسة خلال القرون الوسطى هي المسيطرة على كل فروع المعرفة وقد كان هدف علماء ذلك العصر هو تدريس المسيحية وبذلك أطلق عليهم أنهم علماء اللاهوت ومن من أمثال ذلك نجد القديس أوغسطين " يعلق أوغسطين فيقول "افهم كي تعتقد، وأعتقد كي تفهم، إذن لا يلغي الإيمان المسيحي العقل، ولا يلغي من البحث، ولا يقتل الفكر. بهذا الشكل بالضبط سوف يفهم أكابر المفكرين في القرن الوسيطي تلك القاعدة الأوغسطينية"[1]، الإيمان المسيحي لا يلغي العقل ولا يمنع من البحث ولا يقتل الفكر وا ن تفلسفوا فعلوا ذلك معتقدين ومؤمنين وهذا ما يقر به القديس أوغسطين.

"ويقصد أوغسطين بالفلسفة المسيحية أنها الحقيقية، فيصفها تارة بأنها الفلسفة الوحيدة الحقيقية Una Vera philosophia وتارة أخرى بأنها الفلسفة الحقيقية. "ذلك أنه يقول إن الفلسفة هي محبة الحكمة، والحكمة هي "الكلمة" و"الكلمة " قد تجسدت على صورة "مسيح"؛ وهذه "الكلمة " هي الحياة، والحياة هي النور، والنور لم يأت تبعا لهذا إلا مع المسيحية؛ فمحبة الحكمة هي محبة النور أو الكلمة؛ أي محبة المسيح، أي محبة المسيحية"[2]، يقر القديس أوغسطين أن الفلسفة المسيحية هي الفلسفة الحقيقية وهي الدين المسيحي، والفلسفة ليست هي الوحي، وأن الفلسفة المسيحية هي العقل في محاولته فهم تعاليم المسيحية والاعتقاد بما أتت به.

"وعلى العقل من بعد أن يعرف هذه الحقائق الإيمانية؛ أي أن على العقل أن يحول هذه إلى حقائق يقينية معقولة وهذا ما يعبر عنه بالقول: أؤمن من أجل أن أتعقل Gredo ut intelligam فبالإيمان أولا، ثم يأتي العقل بعد ذلك فيحل الشيء من حقيقة برهانية. وهذه

[1]- جونو بوجوان: تاريخ الفلسفة والعلم في أوروبا الوسيطية، ترجمة على زيعور، علي مقلد، د ط، مؤسسة عز الدين، بيروت، 1993، ص 39.

[2]- عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 03.

هي المهمة الحقيقية للفلسفة؛ فليس من مهمة الفلسفة أن تبحث لتؤمن، أو تتعقل لتعتقد بل تعتقد لتتعقل"[1]، يرى أوغسطين أن الإيمان سابق عن التعقل وهذا ما عبر عنه بقوله "أؤمن من أجل أن أتعقل "أي الإيمان ثم يأتي العقل ليعرف هذه الحقائق الإيمانية ويحولها إلى حقائق معقولة يقينية (برهانية) وهذه هي مهمة الفلسفة الحقيقية.

"كانت الكنيسة في العصور الوسطى وهي تقدم في لاهوتها تفسير الكون تعطي معنى للحياة الإنسانية ولتاريخها، أي لأصلها ولتطورها بل ولمستقبلها، أي أنها كانت تطفئ الظمأ الطبيعي عند الإنسان نحو معرفة ما يمس مشاكله أصله ومصيره، ولكنها كانت في نفس الوقت تقمع فيه نزعة البحث الفلسفي"[2]، في هذه المرحلة يبدوا واضحا سيطرة الكنيسة على الفكر الإنساني ومنعه من كل تفكير خارج نطاق الكنيسة وقد كان كل تفكير داخل الكنيسة، فكان مفكري تلك الفترة هم علماء لاهوت، وكان هدفهم هو تدريس المسيحية دون ذلك، أما المسائل الفلسفية التي اهتموا بها فقد كانت تتضمن تطبيقات لاهوتية مستوحاة من علم اللاهوت.

3- انتشار روح التقليد:

من خلال الفكر السائد في الفلسفة المسيحية يبدوا واضحا ظاهرة التقليد ليديها فقد ارتكزت على مضمون الكتاب المقدس من جهة وعلى آراء الفلاسفة اليونان أمثال أفلاطون وأرسطو من جهة أخرى " كان هذا الفكر عموما عبارة عن مجموعة من المعتقدات التي صاغها علماء اللاهوت لتصبح عظيمة الأثر من جهة ولتعوق تطور الفكر الغربي من جهة أخرى، من المعروف أن استقرار المسيحية وخاصة الكاثوليكية، أي استمرار تأثير لاهوتها أدى إلى شل الحركة الفلسفية بل والى خنق كل حرية فكرية"[3]، تميزت العصور الوسطى

[1]- عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 04.

[2]- زينب محمود الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص50.

[3]-نفسه، ص 50.

بسيطرة اللاهوت على كل فروع المعرفة وفقا للتصور المسيحي، أدى إلى شل وخنق كل إبداع وكل تفكير فلسفي لأن جميع المعارف كانت مرتبطة بالإيمان وكل العلوم الدنيوية تخضع للعلم المقدس.

"وجاء رد فعل الكنيسة المسيطرة على الحياة الفكرية في ذلك الحين ضد أرسطو في شكل قرار تحريم وضعته مجموعته من رجال الدين"[1]، لم يكتب للفلسفة بالمعنى الحقيقي أن تظهر في الوقت الذي كانت الكنيسة مسيطرة على الحياة الفكرية وتقمع فيه نزعة البحث الفلسفي، ووصل بها الأمر إلى تحريم تدريس أرسطو وذلك من أجل الدفاع ضد التسللات الوثنية لأرسطو وحماية العلم الإلهي.

في هذا الحين "أدركت المدرسة المسيحية وهي تواجه يقظة الأرسطية الجديدة أنها إذا تركتها تنتصر أي إذا قبلتها لكان عليها إما أن تعلن أن كل تعاليم الكنيسة الكاثوليكية خاطئة، وا إما أن تقبل إمكانية وجود حقيقتين متعارضتين وسليمتين في نفس الوقت، تقول بأحدهما الكنيسة وتبرهن الفلسفة على صحة الأخرى. كان على الكنيسة أن تضحي إما بالعقيدة وا إما بالعقل السليم. واتخذت الكنيسة بسرعة قرارها فضحت بكل الفلسفة الوثنية[2]"، أصدرت الكنيسة قرار على سد الطريق أمام أرسطو العربي أي أرسطو وشراحه العرب، لأن فلسفة الفيلسوف العربي تحمل في طياتها أي خطر للفكر المسيحي.

وقد كان "رأي القديس بولس في الفلسفة اليونانية وفي الديانة المسيحية ولكن نستطيع أن نستخرج من هذا الرأي أنه وا إن كان قد حمل على الحكمة عند اليونان، فذلك لأنه نظر إلى الحكمة على أنها المسيحية، وعلى ذلك فهو يقول أيضا بحكمة مسيحية، أي أنه يقول بالحكمة بوجه عام، إلا أنه ينظر إليها نظرة مخالفة للنظرة اليونانية كل المخالفة، فبينما الحكمة عند اليونانيين هي العلم وهي الفن، نجد أن الحكمة عند القديس بولس هي الدين

[1]- زينب محمود الخضيري: اثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، ص 51،52.

[2]- نفسه، ص 55.

وحده"[1]، ينظر القديس بولس للحكمة ويميز بين الحكمة عند اليونانيين والتي هي العلم والفن، والحكمة في الديانة المسيحية والتي هي عقيدة صرفه وهي الحكمة والحكمة هي الدين وحده، وأن كل فيلسوف مسيحي لا بد أن تكون فلسفته مسيحية ولها طابع يميزها عن غيرها من الفلسفات.

"وتبعا لهذا لا بد أن نعد الأشياء الخيرة أو الحقيقة التي ظهرت قبل نزول الوحي السماوي جزءا من المسيحية. وعلى ذلك فالحقائق اليونانية هي حقائق مسيحية كذلك. ولهذا نفهم لماذا تسمى المسيحية فلسفة بالمعنى الكامل"[2]، الفلسفة المسيحية هي الحقيقة الكاملة ولم تر الحقيقة كاملة إلا في المسيحية وكل مذهب فيه جزء من الحقيقة التي وحدها كاملة في المسيحية وأن الفلاسفة اليونان قد فرقوا هذه المذاهب التي وصلتهم عبارة عن حقائق مشوهة ومتضاربة فأساءوا إليها وفرقوا الحقيقة الواحدة الموجودة في المسيحية بالمعنى الصحيح والكامل.

"إلا أنه يلاحظ أنه لم يكن من شأن هذه النظرة أن ترفع من شأن الفلسفة فوق الإيمان، بل النتيجة هي العكس مادامت المسيحية قدمت الحقائق بشكل كامل. وليس ثمة حاجة إلى الفلسفة مادامت المسيحية تغني عنها"[3]، لم يكن باستطاعة الفلسفة أن تعلوا عن الإيمان بل أن الإيمان يعلو عن الفلسفة لأنه الحقيقة الكاملة.

" نقول إذا قارنا الفلسفة بالمسيحية وجدنا أن الغاية الإنسانية وهي "الخلاص" لا يمكن أن تتحقق إلا في المسيحية. وذلك لأن الحكمة اليونانية لا تقدم لنا غير مبادئ وقواعد، ولكنها لا تقدم القدرة على تحقيق هذه المبادئ بالفعل أو تطبيق هذه المعارف بالفعل. وفارق كبير بين العلم والقدرة: فالحكمة اليونانية تقدم علما فحسب، ولكن المسيحية تقدم علما

[1]- زينب محمود الخضيري: اثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، ص 8.

[2]-عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 11.

[3]- نفسه، ص 11.

بوصفه القدرة"[1]، المسيحية هي الغاية الحقيقية للإنسان وطريقة تحقيقه لهذه الغاية، والفلسفة عبارة عن مذاهب متفرقة متعارضة فالمسيحية وحدها تحل فيها المشاكل مرة واحدة وبطريقة واحدة، وأن كل فلسفة لا تكشف سوى عن جزء من الحقيقة فحسب، وعن طريق الإيمان المسيحي نصل إلى الحقيقة ونميز بين الحق والباطل فتكون لنا أيضا حقيقة عقلية إلى جانب الحقيقة الإيمانية.

" فهذا التعبير يصطدم بادئ ذي بدء بنقد المؤرخين الذين يناقشون. بطريقة قبلية pripri هل من الممكن قيام فلسفة مسيحية في العصور الوسطى أم لا، بل تراهم يقررون كواقعة تاريخية أن العصور الوسطى لم يكن لها فلسفة قط. وكل ما هنالك شذرات متفرقات من الفكر اليوناني أريد لها أن تتصالح مؤقتا مع اللاهوت بطريقة فيها كثير من التصنع والافتعال"[2]، نجد بعض المؤرخين يذهبون إلى القول بأن الفلسفة المسيحية ما هي إلا مقتطفات من الفكر اليوناني قد مزجت مع العقيدة الدينية ليطلق عليها اسم فلسفة مسيحية وأنه لا وجود لمثل هذه الفلسفة خلال العصور الوسطى.

" كما يقول المؤرخين أن كل ما خلفه لنا المفكرون المسيحيون، فهم يستعيرون من أفلاطون تارة، ويستعيرون من أرسطو تارة أخرى، وهم يفعلون ذلك في الأوقات التي يقومون فيها بشيء أشد سوءا، هو الجمع بين أفلاطون وأرسطو في مركب محال"[3]، يرى بعض المؤرخين أن كل ما خلفه المفكرون المسيحيون وهم يأخذون من الفلاسفة اليونانيين كأفلاطون وأرسطو تارة ووصل بهم الأمر إلى الجمع بينهما أنهم لم يخلفوا من فكرهم الأصيل بل كل ما خلفوه هو مجرد أقوال لا يؤخذ بها.

---

[1]- عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 11.

[2]- إبتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ط3، مكتبة مدبولي، الكويت، 1996، ص 28-29.

[3]- نفسه، ص 29.

" لقد كانت مكتبة الرجل اللاهوتي في العصر الوسيط تحتوي أولا على الكتاب المقدس، ثم تحتوي بعد ذلك على مؤلفات أرسطو، ثم شروح على هذه المؤلفات كشروح "ألبرت الكبير" أو القديس "توماس الإكويني" أو غيرهما، ثم هي تحتوي بعد ذلك إن كانت موارده المالية تسمح على شروح إضافية، ثم شروح على الشروح كما فعل "يوحنا جاندو" على مؤلفات ابن رشد"[1]، انتقلت أفكار كثيرة من اليونانية إلى العصور الوسطى وصبغت المسيحية الحياة والفكر وسيطرة الكنيسة على جميع نواحي الحياة وبهذا لم تسهم المسيحية في إثراء التراث الإنساني وبخلاف الفلسفة المسيحية نجد الفلسفة الإسلامية ابن رشد الذي وفق بين الفلسفة والعقيدة فالفيلسوف يمكنه فهم العقيدة بحرية وبدون واسطة.

"ويواصل المؤرخون نقدهم فيقولون إننا لا نلتقي على الإطلاق بدافع أصيل يثير التفكير يكون مسيحيا تماما، خلاقا ومبدعا في وقت واحد، والنتيجة هي أن الديانة المسيحية لم تسهم بشيء قط في التراث الفلسفي الذي أنتجته البشرية"[2]، يواصل المؤرخون نقدهم للمسيحية بأن الأفكار المسيحية التي ظهرت لم تكن أصيلة وخلاقة ومبدعة، وأن هذه الأفكار لم تثري التراث الفلسفي الذي أنتجته البشرية.

"إن المقدمة التي يصدرها الإكويني سؤاله الرابع عشر في الخلاصة اللاهوتية لعظيمة الدلالة؛ إذ نجد في تلك المقدمة دليلا ساطعا على الاتفاق التام بين تفكيره وتفكير فيلسوفنا. وا ذا نحن قرأنا قائمة المسائل التي يعالجها في هذا السؤال أدركنا أن تلك المشاكل التي يحاول حلها إنما هي عين المشاكل التي سبقه ابن رشد إلى حلها"[3]، هنا يظهر لنا بروز ظاهرة التقليد لدى المفكرين المسيحيين وهذا ما نلمسه بين توما الإكويني وابن رشد، مثلا نظرية المعرفة عند توما الإكويني هي صورة مطابقة لنظرية المعرفة عند ابن رشد ومن هنا

[1]- إيتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مرجع سابق، ص460.

[2]- نفسه، ص 29.

[3]- محمود قاسم: نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الإكويني، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، د س، ص 130.

يظهر لنا تأثير ابن رشد في تلك العصور لأن المشاكل التي عالجها الإكويني كان قد سبقه لها ابن رشد.

المبحث الثاني: السياق الفكري لفلسفة توما الإكويني.

1- مولده ونشأته:

ولد توما الإكويني سنة 1224 أو سنة 1225. لاندلوف الإكويني، سيد روكاسيا (الصخرة الصلدة) الواقعة في مملكة تابولي. وربما كانت عائلته تحلم بأنه قد يتقلّد يوما الرئاسة الأسقفية في دير مونته كسينو (mont Cassino) الغني. وهو في سنة 1230، عهد بتوما الصغير، وعمره 5 سنوات، إلى الأب الراعي لتلك الرهبانية، هو وخاله سينبالدي (sinnbaldi) وفي ذاك المكان تعلم اللاهوتي المقبل مبادئ الثقافة. وفي سنة 1236 أو 1239 وصل توما إلى كلية الفنون في جامعة نابولي الفتية، حيث أتيح له الإتصال الأول بالأرسطوية. ولكنه في سنة 1243 أو سنة 1244، اتخذ قرار قضي فيه على الأحلام الجميلة لعائلته: إذ لبس الثوب الرهباني الدومينيكي.

اتجاه حاسم أتراه كان سيصبح ما أصبح عليه لو أنه اتبع الطريق التي رسمها له أهله؟ يومئذ لم يعد العصر عصر القديس انسلم. ولكي يمكن لعب دور في الحياة الفكرية فإن الثوب الأبيض للإخوان الواعظين كان السبيل الأضمن من الصولجان الديري. إشراف ألبير الكبير. وفي سنة 1252 وصل إلى باريس. وفي سنة 1257، وبالذات الوقت مع القديس بونافنتورا، فقد قبل فيها رسميا ضمن معلمي اللاهوت في الجامعة. وبعدئذ أصبح التعليم شغله الوحيد فأنصرف إليه حتى سنة 1259 في باريس. ومن سنة 1259 رافق في إيطاليا البلاط البابوي. ومن سنة 1269 إلى سنة 1274 عاد يحكم من جديد في باريس. وفي سنة 1272 رجع إلى نابولي. مات سنة 1274 في 7 آذار فيما كان ذاهبا إلى مجمع ليون.وا ٍنتاج توما الإكويني يمكن أن ينقسم إلى خمس فئات من الكتابات:

-شروحات على الأسفار المقدسة.

-الشروحات الفلسفية أو اللاهوتية (حول كتاب الحكيم للومبار (1254-1256) حول "الكتيبات اللاهوتية "لبويسيوس (1257-1258)، حول "الأسماء الإلهية " لدنيس المنحول (1260)، حول "كتاب العلل "(1271-1272)، حول أغلب كتب المنطق والطبيعة وما بعد الطبيعة لأرسطو (1266 -1274).

-كتابات "المسائل المتنازع عليها " و"المسائل التفرقة "

-"كتيبات " حول مختلف المواضيع (مثلا: في الوجود والماهية) (1250 -1256)، ثم "في خلود العالم " (1270)، الخ ...

-الخلاصتان وهما "الرد على الخوارج"، (1254 -1264)، و"الخلاصتان اللاهوتية (1266-1274) [1].

- مصادر فكره:

كثيرا ما استند توما الإكويني على فلاسفة نذكر منهم أرسطو وألبرت الكبير وابن رشد وغيرهم من الفلاسفة و"لم يخرج القديس توما الإكويني عن هذا، فقد عبر عن حقائق الدين المسيحي مستعملا ثقافة العصر، وهي مفاهيم أرسطو واصطلاحاته خاصة بعد أن أصبحت مشاعة بين الجميع، ويظهر ذلك من تعبير القديس وهو يعرض ألفاظه ثم يشير إلى أرسطو قائلا: "وهذا ما يسميه الفيلسوف ..." أي أنه لا يستعير إلا اللفظ للتعبير به عن تحليل له، خاصة وأنه منتشر في ثقافة العصر يعلمه الجميع ومهيأ لإيصال المعاني"[2]، يعتبر توما الإكويني أن فلسفة أرسطو تصلح في أن تكون أساسا للفلسفة المسيحية وأن فلسفة أرسطو

[1]- جونو، بوجوان: تاريخ الفلسفة والعلم في أوروبا الوسيطية، ترجمة على زيعور، علي مقلد، مرجع سابق، ص120.

[2]- الشيخ كامل محمد محمد عويضة: الأعلام من الفلاسفة توماس الإكويني الفيلسوف المثالي في العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 217.

هي آخر مرحلة من مراحل التفكير الإنساني وقد نجح في إقناع الكنيسة بأن فلسفة أرسطو أجدر من فلسفة أفلاطون.

هكذا فهم توما الإكويني فلسفة أرسطو أو بالأحرى كان ينظر إلى نفسه من خلاله وكان يقر أ عليه فكره الخاص وذلك أمر طبيعي يؤكده تاريخ الفلسفة عند الفلاسفة يشير إليه صراحة أو ضمنا من إشارته إلى أي فيلسوف آخر"[1]، ظل القديس توما الإكويني متأثرا بأرسطو ويشير إليه دائما وأن لقاءه مع أرسطو كان على خط واتجاه واحد، وكأنه يقر أ عليه كل أفكاره الخاصة وينظر إلى إن البرهان على وجود الله –كما جاء عند أرسطو – قائم على حجة المحرك الذي لا يتحرك؛ فهنالك أشياء تتحرك بغيرها فقط، وأشياء أخرى تحرك غيرها وتتحرك بغيرها معا؛ وكل ما يتحرك يحركه شيء سواه"[2]، كان لأرسطو أثرا كبيرا على فكر توما الإكويني، ومثال ذلك في أدلة وجود الله "دليل الحركة " عند توما الإكويني سبق ذكره عند أرسطو وأن الإكويني لم يأت به بل أخذه عن أرسطو.

"وفي الحجة اللاهوتية Sum Ma Thealogiae خمسة براهين على وجود الله؛ أولها برهان المحرك الذي لا يتحرك"[3]، المحرك الذي لا يتحرك هو برهان أرسطي على وجود الله، أي أ الأشياء المتحركة هي أشياء متحركة من غيرها و أ هناك من يتسبب في حركتها و أن لحركتها علة تحركها وهو الله.

"مع ذلك فإننا لا نغلط عندما نعتبر أن أجمل عنوان مجد للمعلم ألبير هو أن أتاح وأعدَ مؤلفات توما الإكويني"[4]، لعب ألبير الكبير دورا مهما في إنتاج فكر توما الإكويني بذرة من بذور الذي فكر ألبير الكبير لما زرعه وقدمه لتلميذه من إنتاج ضخم كان قد جمعها فلاسفة عدَة.

---

[1]- إيتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مرجع سابق، ص 218.

[2]- برتراند راسل:تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة ز كي نجيب محمود، مرجع سابق، ص 232.

[3]- نفسه، ص 232

[4]- جونو، بوجوان: تاريخ الفلسفة والعلم في أوربا الوسيطية، ترجمة، علي زيعور، علي مقلد، مرجع سابق ،120.

وا ٍن كان أرسطو هو أكثر الفلاسفة الذين يرد اسمهم في الكتاب الأول إلا أن ابن سينا (980 ،1037م) وابن رشد (595.520 م) يليانه على التو. وكثيرا ما يقبل توما الإكويني بعض تحليلات فلاسفة المسلمين دون نقد أو تمحيص"[1]، كثيرا ما يستند الإكويني إلى تحليلات عن فلاسفة مسلمين كابن سينا وابن رشد كشراح لفلسفة أرسطو وأحيانا نجده ينظر لهم أنهم مفكرون لهم آراؤهم الفلسفية.

"قد يكون توما الإكويني قد وجد في ابن سينا بوجه عام وابن رشد بوجه خاص بعض النظريات والشروح التي توافقه في تحليل عالم الأشياء والبدء به واعتبار الوجود محتويا في ذاته على ماهيته"[2]، وجد الإكويني في الفلاسفة المسلمين كابن سينا بعض النظريات التي توافقه في تحليله للعالم والوجود، وأنها جميعا نظريات نشأت في بيئة عقلية جمعت بين الفكر والواقع بين المعقول والمحسوس.

المبحث الثالث: المعرفة بين توماس الإكويني وابن رشد

يهمنا في هذا المبحث إيضاح مدى تأثر فكر الإكويني بفلسفة ابن رشد وقد كان لها أثرا واضحا في فكره وأيضا انتشار روح التقليد لديه وقد برز هذا في أهم المواقف أو المسائل الفلسفية التي استفاد منها توما الإكويني عن طريق الإرث الرشدي والتي كانت من أهم المسائل التي بحثها الفلاسفة وعلماء اللاهوت.

- موقف ابن رشد من وجود الله:

دليل العناية : وهو من الأدلة الدالة على وجود الله وعنايته للإنسان و"العناية حسب ابن رشد هي عناية الله للإنسان، وخلق جميع الموجودات من أجله"[3]، حاول ابن رشد أن يوضح

[1]- الشيخ كامل محمد محمد عويضة: الأعلام من الفلاسفة توماس الإكويني الفيلسوف المثالي في العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 228.

[2]- نفسه، ص 234 .

[3]- أبو الوليد ابن رشد: الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1964، ص 150.

أن الله خلق الإنسان وجميع موجوداته للعناية به ولأجله وهذا الدليل دليل على العناية الإلهية للإنسان ولهذا وجب على الإنسان أن ينظر وأن يفكر فيما يحيط به من رعاية ر بانية فجميع الموجودات خلقت للعناية به.

وقال تعالى ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴿١٣﴾﴾[1]، تبين الآية الكريمة قدرة الخالق على تدبير الأمور والعناية كما أنه عز وجل سخر كل الموجودات موافقة لوجود الإنسان.

دليل الخلق: وهو أيضا من الأدلة التي تثبت وجود الله و" أن لكل مخلوق له خالق، أي أن كل موجود له موجود، وبهذا يرى ابن رشد أن من أراد معرفة الله عليه أن يعرف جواهر الأشياء، لأن من لم يعرف حقيقة هذه الأشياء لن يتمكن من معرفة خالقها"[2].

هنا أراد ابن رشد أن يوضح أن الإنسان منذ نشأته يدرك أن له خالق بالفطرة أوجده بالصورة التي هو عليها فلو لم يكن هنالك خالق لما كان هناك وجود.

دليل الحركة: وهو دليل أرسطي على وجود الله و"هنا حاول ابن رشد تحليل فكرة الحركة والمحرك والقوة والفعل للاستدلال على وجود الله رافضا بذلك إمكانية التسلسل إلى ما لانهاية، إذ أن القول بالتسلسل إلى ما لانهاية لا يؤدي للقول بوجود الله، لهذا نجد ابن رشد يرفض القول به"[3]، أخذ ابن رشد هذا الدليل عن أرسطو الذي يرى بأن العالم يتحرك حركة أبدية دائمة، ويتضمن وجود محرك لا يتحرك وغير مادي بحيث أكد هو أيضا أن المحرك الأول هو لله المتحرك الذي يحرك الأجسام ولا يتحرك لأنه لو حرك لأصبح جسما وبالتالي فهو المحرك لكل الموجودات وهو السبب الذي يخرجها من العدم إلى الوجود.

---

[1]- الجاثية، الآية (13)

[2]- أبو الوليد ابن رشد: الكشف عن مناهج الأدلة، مرجع سابق، ص 151.

[3]- عاطف العراقي: النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد، دار المعرفة، القاهرة، ط2 ،1984، ص 285.

وقد "استدل ابن رشد بآيات قرآنية لإثبات وجود الله تتضمن العناية والخلق لإثبات الدليلين، قال تعالى "الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار" ، وقوله تعالى: ﴿ ۥ ـ ح ـ ي ـ ليلأنهالسهوضلوء أ ـ ته خبسرلا فج ـ خنا ما هنا ـ يهسأا ـ ك ـ ل ـ ون ـ ﴿٣٣﴾)[1]، يرى ابن رشد أن دليلي العناية والخلق من الأدلة التي تدل على وجود الله وقد استدل بآيات من القرآن الكريم لإثبات ذلك .

2- موقف توما الإكويني من وجود الله:

دليل الوجود:

من الملاحظ من مظاهر التشابه وتأثر الإكويني بابن رشد يظهر في أدلة وجود الله بحيث وضع أدلة لوجود الله وتظهر في طريقة البرهان بالخلف وفي أدلته لإثبات وجود الله ابتداءا من المحسوس ليصل إلى العلة الأولى التي هي الله. يظهر أن وجود الله بين بنفسه ومعرفة مذكورة فينا كما هو واضح في المبادئ الأولى، وهي معرفة مذكورة في الجمع كما قال الدمشقي في كتابه المستقيم "فإذا وجود الله بين بنفسه"[2]، الله موجود وبين بذاته وهو الحق بعينه وهو الحقيقية المنبعثة كما أنه سعادة الإنسان الذي هو متشوق لمعرفة الله دائما.

دليل الحركة:

وهو دليل قد أخذه الاكويني عن أرسطو فـ: " من جهة الحركة أن ليس يمكن أن يكون شيء واحد بعينه محركا لنفسه، لأنه ليس يمكن لشيء واحد بعينه أن يكون بالقوة والفعل معا باعتبار واحد، فكل متحرك هو متحرك من آخر ولا يجوز التسلسل إلى غير نهاية، فلا بد من الانتهاء إلى محرك أول غير متحرك"[3]، هذا الدليل دليل وارد عن أرسطو

---

[1]- يس، الآية (33).

[2] -توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج1، ترجمة بولس عواد، مج 1، المطبعة الأدبية، دط ،1882، ص28.

[3]- نفسه، ص 82 .

بحيث لا يمكن لشيء أن يكون محركا ومتحركا، فالله هو المحرك الذي لا يتحرك وهو المحرك الأول بحيث يؤكد الإكويني أنه لا يمكن التسلسل اللامتناهي بل لا بد من الوصول إلى متحرك غير متحرك من آخر الذي هو الله.

دليل العلة:

وهو من الأدلة التي قال بها الاكويني لإثبات وجود الله "حيث يرى الإكويني أن لكل علة فاعلة والتسلسل هنا ممتنع في العلل لأن الأول بين جميع العلل المترتبة هي علة الوسط والوسط هو علة الأخير فلو لم يكن هناك علة مؤثرة لم يكن هناك معلول أخير ولا علل مؤثرة متوسطة، وبالتالي لابد من إثبات علة أولى لجميع هذه العلل وهاته العلة هي الله"[1]، يؤكد الإكويني أن الله هو علة العلل وسبب لكل الموجودات، ونجد أن الأشياء تؤثر في بعضها البعض وأنه لابد من الوقوف عند علة العلل وهو العلة الأولى وهو الله.

دليل تدبر الأمور:

دليل تدبر الأشياء أو نظام الطبيعة وفيه ذهب الإكويني إلى القول بأن بعض الموجودات الخيالية بين المعرفة وهي الأجرام الطبيعية تعمل لغاية، وهذا ظاهر من أنها تعمل دائما أو في الأغلب على نهج واحد إلى أن قصدا على أن ما يخلو من المعرفة ليس يتجه إلى غاية ما لم يسدد إليها من موجود عارف عاقل"[2]، نلاحظ أن الإكويني استمد هذا الدليل من دليل العناية الإلهية لدى ابن رشد الذي نجده يؤكد على أن الله سخر للإنسان جميع الموجودات لأجله حتى يتمكن من العيش في هذا الوجود على ما هو عليه بحيث الموجودات هي منظمة من الإرادة الإلهية.

[1]- توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج1، ترجمة بولس عو اد، مصدر سابق، ص 32.

[2]- نفسه، ص 34.

موقف ابن رشد من مسألة قدم العالم :

بحث ابن رشد في مسألة قدم العالم وعبر عن رأيه قائلا " أعلم أن الذي قصده الشرع من معرفة العالم. هو أنه مصنوع لله تبارك وتعالى مخترع له، وأن لم يوجد عن الاتفاق ومن نفسه"[1]، يؤكد ابن رشد على أن حدوث العالم يتم بصفة أزلية مستمرة بحيث لا يكون منقطعا أو منفصلا وهو يدل على قدرة صانعه.

"وأما إن كان العالم قديما بذاته وموجودا من حيث هو متحرك لأن كل حركة مؤلفة من أجزاء حادثة فليس له فاعل أصلا وا ٍما إن كان قديما بمعنى أنه في حدوث دائم وأنه ليس له فاعل لحدوثه أول ولا منتهى، فإن الذي أفاد الأحداث المنقطع وا ٍنما سمت الحكماء العالم قديما تحفظا من المحدث الذي هو من شيء وفي زمان وبعد العدم"[2]، يرى ابن رشد ان العالم لم يبتدع من العدم ولم يخلق دفعة واحدة .

موقف توما الإكويني من مسألة قدم العالم

نجد أن الإكويني تكلم هو الآخر عن مسألة قدم العالم فوضع خمسة حجج في ذلك. ويقول "وأيضا أن الخلاء هو حيث لا يوجد جسم ولكن يمكن أن يوجد. ولو كان لوجود العالم ابتداءا لما كان جسم العالم ولكنه كان ممكنا أن يوجد والألم لم يكن الآن هناك جسم. فإن يلزم أنه كان قبل العالم خلاء وهذا محال"[3]، هنا يحاول الإكويني التأكيد أنه لو كان العالم محدثا لما وجد قبله جسم وبالتالي فإن الزمان جسم العالم وهنا يقر بقدم العالم.

وأنه "متى فرضت العلة الكافية فرض المعلول لأن العلة التي لا يلزم من وجودها وجود المعلول علة ناقصة محتاجة إلى الغير في وجود المعلول. والله كافية للعالم غائية باعتبار خيريته ومثاليته وباعتبار حكمته وفاعليته وباعتبار قدرته لما كان الله قديما كان

[1]- أبو الوليد ابن رشد: الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، مرجع سابق، ص 108.

[2]- أبو الوليد ابن رشد: تهافت التهافت انتصار للروح العلمية وتأسيس لأخلاقيات الحوار، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1 ،1998، ص 62.

[3]- توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج1، مصدر سابق، ص 560.

العالم قديما. أيضا ما كان قديما فمفعوله قديم أيضا. وفعل الله هو نفس جوهره الذي هو قديم. فإذا العالم أيضا قديم"[1]، كما سبق ذكرنا أن مشكلة حدوث العالم عند ابن رشد هي إيجاد مستمر منذ الأزل وهذا يتضمن مسألة الخلق لديه بحيث لم يخلق العالم من العدم وا ٍنما من الإيجاد والتكوين بحيث نجد أن الخلق عند ابن رشد هو إخراج ما هو بالقوة في المادة إلى العالم أنه مخلوق سبب فاعل هو الله، وأن مادته مخلوقة أيضا وفي هذا إثارة إلا أن الله خلق الموجودات دفعة واحدة.

وهنا نجد اختلاف في الآراء حول مسألة قدم العالم وحدوثها" فمنهم من قال بالقدم ومنهم من قال بالحدوث، كما رأى أن هناك ثلاث أصناف من الموجودات طرفان وواسطة بين هذين الطرفين"[2]، اختلف الفلاسفة في مسألة قدم العالم وحدوثه ونجدهم قد اختلفوا في أصل الطرفين في الواسطة.

"فالطرف الأول هو الموجودات التي يدرك تكونها بالحس مثل تكون الماء والهواء فهذه الموجودات وجدت من غيرها، أي بسبب فاعل أوجدها من مادة وفي هذا يرى ابن رشد أن كل من المتكلمين والفلاسفة اتفقوا على هذا أن الموجودات مخلوقة، وأما الطرف الثاني فهو موجود لم يكن من شيء ولا عن شيء ولا ينقص منه شيء ولا يتقدمه شيء وهذا هو الله. وحسب ابن رشد كل من المتكلمين والفلاسفة اتفقوا على أنه قديم"[3]، بما أن الله هو علة الأشياء وبالتالي يؤكد الإكويني أنه لا شيء قديم قدم الله وأن وجود الأشياء بحسب وجوب إرادة الله لأن ضرورة المعلول متوقفة على ضرورة العلة .

"بأنه متى وجد الفعل يلزم المفعول بحسب اقتضاء الصورة التي هي مبدأ الفعل. وما يسبق تصوره وتحديده في الفواعل الإرادية يعتبر كالصورة التي هي مبدأ الفعل فإذا ليس يلزم

[1]- توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج1، مصدر سابق ، ص 561.

[2]- نفسه، ص 161، 162

[3]- نفسه، ص 40،41.

عن فعل الله القديم أن يكون مفعوله قديما بل أن يكون على حسبما إرادة الله أي أن يحصل له الوجود بعد اللاوجود"[1]، إن الله علة العالم وهذا العالم صادر من الله وهذا الله في إرادته أي أنه يحصل له الوجود بعد اللاوجود كما متقدم على العالم بالمدة وهو بذلك بالتقدم وليس تقدم الزمان بل تقدم الأزل.

"بأن المحرك الأول قد لزم دائما حالا واحدة بعينها وأما المتحرك الأول فلم يلزم دائما حالا واحدة بعينها لأنه ابتداءا أن يوجد بعد أن لم يكن موجودا وهذا لم يكن بالتغير بل بالإبداع الذي ليس متغير إنما نتيجة على القائلين بقدم المتحركات وحدوث الحركة"[2].

يؤكد الإكويني أنه لا يمكن التسلسل في الحركة إلى ما لانهاية وأن هناك علة لكل العلل ويرى بأن الحركة محدثة وكذلك المتحركات وأن الحركة قد كانت دائما منذ ابتدأت المتحركات والمتحرك الأول يلزم دائما حالا واحدة بعينها.

"تقول إن الشيء غير الكائن الحي مبتدأ في الوجود وقد أثبت أرسطو ذلك في الطبيعيات وأن المادة غير كائنة وفي كتاب السماء والعالم وأن السماء غير كائنة، ومنه ليس لجميع الأشياء ابتداءا وبهذا فهي قديمة "[3]، إن السماء والهيولي وجدنا بفعل فاعل وبهذا فهم مخلوقات وأن الله قوة وأن الهيولي والسماء لم يبتدئ وجودهما بالكون. كما أن السماء ليس لها ضد تتكون منه.

"يظهر أن حدوث العالم ليس عقيدة إيمانية نتيجة برهانية لأن كل مصنوع فهو حادث. ويمكن أن يثبت بالبرهان أن الله هو علة العالم الفاعلية وهذا قد أقره أيضا أكابر الفلسفة، فإن يمكن أن يثبت بالبرهان أن العالم حادث"[4]، إن الذين يقرون بقدم العالم يرون أنه مصنوع من الله وبالتالي من العدم وأن المصنوع يتم بعد العدم بحيث نلاحظ أن الإكويني

[1]- توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج1، مصدر سابق ،ص565.

[2]- نفسه، ص 560

[3]- نفسه، ص 565.

[4]- نفسه، ص 560.

يعارض العقائد الإيمانية لا يمكن إثباتها بالبرهان كون أن العالم حادث عقيدة إيمانية وأن الله خالق العالم ويقر أن حدوث العالم يتم بالوحي فقط ويمتنع إثباته بالبرهان. ذلك أن مبدأ البرهان هو الحد بالماهية، وبالتالي فإن إرادة الله لا يمكن البحث عنها بالعقل إلا بالنظر لما يريده الله ويقر الإكويني بحدوث العالم انطلاقا من الإيمان ذلك كون العالم صادر عن إرادة الله وهذا يدخل في إرادة الله.

-مسألة التوفيق بين العقل والنقل عند ابن رشد:

يرى ابن رشد أن العقل لا يخالف ودعا إلى ضرورة إعمال العقل وأن الدين قد حث على ذلك في آيات كثيرة و" كان ابن رشد وهو في سبيل تحديد العلاقة بين الدين والفلسفة أن يبدأ بتحدي طبيعة هذين التعبيرين فضلا عن تحديد طبيعة علم الكلام فالفلسفة عنده "هي النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها عن الصانع "[1]، إن ابن رشد يؤكد على ضرورة إعمال العقل والنظر في المخلوقات ودلالتها على الصانع .

"أما الدين فهو مجموعة من الحقائق أوحى الله بها الأنبياء وهذه هي الحقائق تقدم للإنسانية ما يمكن أن تعرفه عن الله، وما يمكن أن تعرفه عن أمور الشريعة (مثل الثواب والعقاب في الحياة الأخرى) كما تقدم له ما ينبغي عمله لتحقيق السعادةوتجنب عقاب الآخرة وهنا تبدأ مواطن الاتفاق في الظهور حسب ابن رشد حيث أن الفلسفة والدين يتفقان من حيث الموضوع، فكلاهما يبحث في الله ولكنهما يختلفان من حيث منهج المعرفة "[2]،

يؤكد ابن رشد أن الدين والفلسفة يتفقان من حيث بحثهما عن الحقيقية فكلاهما يبحثان عن اللهوا ن كان هناك اختلاف فهو في طريق الحصول عليها التي تؤدي إلى الحقيقة فكلاهما يبحثان عن المعرفة التي تعرفنا بالله وقدرته على الخلق وما ينبغي العمل به حتى نحصل على ثوابه والحصول على الغاية التي هي السعادة وما يحدث عند عصيانه.

---

[1]- ابن رشد: فصل المقال، مرجع سابق ، ص09.

[2]- نفسه، ص 9، 10 .

فالدين الإسلامي حث ابن رشد علىضرورة النظر وا ٍعمال العقل في موضوعاته ووضح الكثير من الآيات القرآنية لإثبات أوامر الله وا ٍعمال العقل وما يجب معرفته عن قدرة الخالق وا ٍرادته واستعمال كل ما يؤدي إلى معرفة الله وأيضا الابتعاد عن جميع نواهيه.

"يدعوا على تأمل الكون، والكون مليء بالآيات التي تدعوا إلى التعقل والحكمة وما الحكمة المذكورة في القرآن إلا الفلسفة، يقول ابن رشد "فأما إن الشرع دعا على اعتبار الموجودات بالتعقل وتطلب معرفتها به فذلك يبين في غيرها آية من كتاب الله تبارك وتعالى مثل قوله "فاعتبروا يا أولي الأبصار" وهذا نص وجوب استعمال القياس العقلي أو العقلي والشرعي معا مثل قوله تعالى "ألم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء " وهذا نص بالحث على النظر في جميع الموجودات"[1]، بين ابن رشد ضرورة إعمال العقل بحيث نجد أن الدين الإسلامي حث على إعمال العقل وذلك في آيات كثيرة جاءت لتبين ذلك ليبين مكانة العقل في التأمل في الموجودات والقياس.

"أما التأويل فهو عملية عقلية تعني إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية ولا يظهر العالم إلى التأويل إلا في الحالات الخاصة، أي يظهر التعارض بين ظاهر النص والنظر البرهاني "فإن كان موافقا فلا قول هناك، أن كان مخالفا طلب هناك تأويله.[2]" كما أننا نلاحظ ابن رشد وضع قواعد تأويل فحدد النصوص التي يجب تأويلها قبل غيرها وذلك لتجنب الفوضى وهناك ما يعد تأويلها كفرا مثل البعث التي تتعلق بأمور الدين.

ولما كان المعنى الحرفي هو المقصود من الواضع، وواضع الكتاب المقدس هو الله المحيط علمه بجميع الأشياء دفعة واحدة، لم يكن غير لائق بالكتاب المقدس أن يكون له لفظ واحد معان كثيرة "[3]، ومن هذا نصل إلى أن النص الديني لدى ابن رشد مليء بالرموز

[1]- ابن رشد: فصل المقال، مرجع سابق ، ص09.

[2]- نفسه، ص34.

[3]- توما الإكويني: ج1، مصدر سابق، ص26.

المخفية أما عند الإكويني فهو صريح وواضح ولكن كلاهما أقر بوحدة الحقيقة في الحكمة والشريعة.

"الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد عليه "إن الحكمة هي صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة وأنها المصطحبتان طبعا متطابقتان في الجوهر والغريزة "[1]، يؤكد ابن رشد بأن الدين والفلسفة متفقان من حيث بحثهما عن الحقيقة فكلاهما يبحثان عن الله وا ٍن كان هناك اختلاف فهو في طريقة في الحصول عليها نجد أنه وفق تماما بين الحكمة والشريعة وأنه لا يمكن برأيه التمييز بينهما فلا يمكن للحقيقة أن تكون ضد الحقيقة بحسب فلسفته التوفيقية التي أساسها كان التأويل وعمادها الحقيقة واحدة.

- **مسألة التوفيق بين العقل والنقل عند توما الإكويني**

وفق الاكويني بين العقل والإيمان ورأى ان الفلسفة لا تخالف الدين بل تخضع له و"حاول الإكويني أن يقرب بين العقيدة المسيحية والفلسفة الأرسطية فالتعليم المقدس إذن ليس هناك علم أعلى منه فهو يناظر طريقة استدلال من يجدد مبادئه من كان الخصم بشيء مما قد حصل بالوحي الإلهي، لأنه كما كان الإيمان لأنه كان الإيمان مستندا على الحق المعصوم، ويستحيل إثبات ما يضاد الحق بالبرهان ووضح أن الحجج التي تقاوم على نقص الإيمان لإثبات الإيمان لأن ذلك ناسخ لاستحقاق الإنسان بل لإيضاح ما يورد فيه مما سوى الإيمان لأنه لما كانت النعمة تنسخ الطبيعة، بل تكملها وجب أن تخدم العقل الطبيعي الإيماني "[2]، يؤكد الإكويني على ضرورة التوفيق بين العقل والنقل لأن كلاهما يبحثان عن إثبات حقيقة واحدة ولا يمكن فصلهما.

[1]- ابن رشد: فصل المقال، مرجع سابق، ص 34.

[2]- توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج1، مصدر سابق ،ص 22،21

"هناك اتحاد يفاجئ النظر فيما يتصل بهذين المفكرين، إذن أن المشاكل التي لدى كل منهما كانت بالعبارات نفسها تقريبا"[1]، ويتفق ابن رشد مع توما الإكويني في أن الفلسفة الحقيقية هي فلسفة أرسطو حيث نجد أن الإكويني مشى على خطى أوغسطين فلم يستطيع أن يلجأ لتلك الوسيلة التي تمنع لمن يطبقها إلا أن ابن رشد وضع التأويل الذي حدد له قوانين حتى يلجأ إليها.

[1]- محمود قاسم: نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توما الإكويني، مرجع سابق، ص 15.

الفصل الثانـي

المعرفة الإلـهية عند توما الإكوينـي

المبحث الأول: الله في فكر الإكويني

المبحث الثاني: الوجود

المبحث الثالث: الماهية والوجود

يرى الإكويني أن مسألة الله أولى المسائل وأهمها من حيث هو مبدأ الأشياء وغايتها، وهو علة الموجودات وواجد الوجود، فيقدم لنا حجة واضحة على الفرق الذي يضعه بين العقل والإيمان، وهي أن الإنسان يتشوق للسعادة بطبعه والله هو سعادة الإنسان، والعقل يسلم بعجزه في تفسير بعض الظواهر ويسلم بها من خلال الإيمان، ثم صفاته السلبية التي تقول ما ليس هو، ثم صفاته الثبوتية التي تقول بما هو.

المبحث الأول: الله في فكر الإكويني.

أدلة وجود الله:

يرى الإكويني أن مسألة الله هي أولى المسائل وأهمها وقد وضع خمسة أدلة للبرهنة على وجوده.

- **الدليل الأول: دليل الحركة**

يرى الإكويني أن " الحركة في الكون أمر أكيد وبين لحواسنا.وكل متحر ك متحرك من آخر، لأنه لا يمكن لشيء أن يتحرك إلا أن تكون فيه القوة التي تدفعه للحركة، أو أن يكون متحركا بالفعل"[1]،هذا الدليل ورد عن أرسطو على وجود المحرك الذي لا يتحرك كتعليل لوجود الحركة، فكل متحرك له محرك، والحركة مشاهدة في العالم، فكل متحرك يحتاج أن يتحركمن غيره، وا ٍذا كان هذا الغير متحرك فلا بد أن يتحرك من آخر أيضا وهنا استحالة استمرارالحركة إلى ما لانهاية وا ٍلا لم يكن محرك أول فلم يكن محرك آخر، فلابد هنا من الانتماء إلى غير متحرك وهو الله.

- **الدليل الثاني: دليل العلة**

لكل معلول علة و" يثبت وجود الله كعلة فاعلية أولى لوجود الموجودات، وهو يشبه الدليل السابق لأنه يعلل وجود الأشياء بينما سابقة يعلل حركتها فكل موجود لابد له من علة

[1] -ميلاد ذكي غالي: الله في فلسفة القديس الإكويني، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ط، د.ت، ص 19.

فاعلية غيره أوجدته، لأنه إذ كان علة فاعلية لوجود نفسه فيما أن وجود العلة الفاعلية لابد أن يسبق وجود المعلول فإنه يكون إذن موجود قبل نفسه وهذا خرق، ومحال أن يستمر تسلسل العلل إلى ما لانهاية"[1]، هذا الدليل لا يختلف عن سابقه (الدليل الأول) وهو نظام من العلل الفاعلية حيث لا يمكن وجود الشيء سابق عن نفسه فلكل نتيجة سبب، ولكل معلول علة فالعلة تسبق المعلول بالضرورة، فإذا كان الشيء علة لنفسه فكأن الشيء الواحد يسبق نفسه وهذا باطل، لذا لابد أن تكون هناك علة سابقة له، ولكن ذلك لا يستمر إلى مالا نهاية، بل لابد من التوقف عند علة العلل.

- الدليل الثالث: برهان الواجب

وهو البرهان الثالث الذي " يقوم على أساس أن اللامتناهي لا يمكن عبوره، وذلك أننا إذا قلنا بأن العالم أزلي أعني أنه قدر ة أيام لا متناهية منذ الأزل. فإننا في الواقع لا يمكن أن نصل إلى اليوم الحاضر. وذلك لأننا إذا نظرنا في اللامتناهي، وجدنا أننا لكي نصل إلى اليوم الحاضر الذي نحن فيه لابد أن تكون هناك سلسلة نهائية حتى نصل إلى هذا اليوم"[2]، انطلق الإكويني من التجربة الحسية التي تكشف عن وجود الموجودات وفسادها فكونها قابلة للفساد فإنها ممكنة الوجود، في حين يوجد موجود محض ووجوده ضروري. وهو واجب الوجود وهذا الدليل يشبه الدليل الثاني لأنه يثبت وجود الله كعلة لوجود الموجودات بحيث التسلسل إلى ما لانهاية محال لأنه يؤدي إلى وجود ممكن مستحيل فلابد من الانتهاء إلى موجود وهو واجب الوجود وهو الله.

[1] -الشيخ كامل محمد محمد عويضة: الأعلام من الفلاسفة، توماس الإكويني الفيلسوف المثالي في العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 42.

[2] -عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص126.

- **الدليل الرابع: برهان الوجود**

تختلف الأجسام أو الموجودات" من جهة المراتب الموجودة في الأشياء فإنا نجد في الأشياء تفاوتا في الأكثر والأقل من حيث الخير ية والحقية والشرف ونحو ذلك، والأكثر والأقل إنما يقالان على أمور مختلفة بحسب اختلافها في القرب إلى ما هو غاية في شيء كما أن ما كان أقرب إلى ما هو غاية في الحرارة فهو أحر فإذا من الأشياء ما هو غاية في الحقية والخيرية والشرف وهكذا في الوجود لأن ما كان غاية في الحقية فهو غاية في الوجود"[1]، الأجسام في العالم بدرجات من الصفات تفاوتا في نسبة الخيرية والحقية والشرف وغير ذلك، وهذا التفاوت يكون حسب اختلافها في القرب إلى ما هو غاية في شيء وأعلى درجة فيه، والتفاوت في درجات صفة من الصفات يدل على وجود كمال مطلق لهذه الصفة وبما أنه لا وجود لصفة بدون موصوف، فالكمال المطلق لا يوجد إلا لموجود مطلق هو الله.

- **الدليل الخامس: برهان الغائية.**

إن للكون نظام ف:" من المحال أن تتوافق أشياء متناقضة ومتنافرة في نظام واحد، إلا إذا أساسها موجود يحبو كل شيء بنزوعه إلى غاية محددة والحال أننا نشاهد في العالم أشياء من طبيعة متباينة تتوافق في نظام واحد، وذلك لا نادرا بل غالبا، لابد إذن من موجود، بتدبيره بالعالم: وهو من نسميه الله"[2]، وهو من أشد البراهين المشروحة لمن ينكرون وجود الله، ويستند هذا البرهان إلى النظام الموجود في الكون الذي يدل بالضرورة على وجود منظم هو الله، وأن للكون مدبر والتدبير هو ترتيب الوسائل إلى غاية، وكل شيء يسير نحو غاية ما حسب طبعه. فمن يتدبر أمره عن وعي يدرك غايته ويسعى لها عن قصد، ومن يتدبر أمره عن غير وعي فإنه يسير أيضا نحو غاية وا إن كان لا يدركها أو لا يقصدها، وهنا

[1] - توما الاكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج1، مصدر سابق، ص34،33.

[2] -إميل بريهيه: تاريخ الفلسفة ج3، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1 ،1983، ص180.

فإن العاقل والغير عاقل يصدران كلاهما عن عقل واحد إنما هو عقل الله المدبر المنظم للكون في جزئياته وكلياته.

صفات الله السلبية:

ينصرف الإكويني إلى الكلام عن ماهية الله بعد التأكد من وجوده، ولكي نميز الله عن سائر الموجودات ونثبت أن الذات الإلهية تختلف عن سائر الموجودات، لابد أن ننطلق في معرفة ما ليس الله والتي تتحقق لمعرفة الصفات السلبية التي تقول ما ليس هو، لأن معرفة ماهية الله أمر ممتنع على عقلنا البشر ي وأنه"يجب تنزيه الله عن كل ترتيب، والتركيب على أنواع:تركيب من أجزاء مادية ومن هيولي وصورة، ومن ماهية وشخص حاصل إليها، ومن ماهية ووجود، ومن جنس وفصل ومن جوهر وعرض، وفيها جميعا النسبة بين الطرفين كنسبة القوة والفعل ولايمكن أن يكون الله إلا محضا، وا ٍلا كان وجوده متأخرا عن أجزاءه، وكان لتركيب هذه الأجزاء علة من حيث أن الأشياء المتغايرة لا تتفق في واحد بعلة تجمع بينهما" [1]، هنا محاولة العقل أن يصف الله بصفات سلبية التي تنفي عنه كل نقص، ونفي التركيب عن الله وأن الله روح ثابت ومطلق وساكن، وأن ماهية الله ووجوده شيء واحد وأن الله وصفاته شيء واحد، لأن التركيب نقص وهذا لا يليق بعلة العلل.

" التسلسل ممتنع كما قدمنا فمقتضى العلة الأولى أن تكون بسيطة من كل وجه، وكل ذلك ليس الله جسما، ولكنه صورة مفارقة أي روح خالص بريء من كل تركيب، فيسقط القول بوحده فالله عينه وماهيته، بل عين وجوده أيضا، وعين كل ما قد تثبته له من صفات، واجب الوجود (وعين الوجود قائم بذاته) كما يقتضي مفهوم العلة الأولى، وهذا أقصى ما يقال في الله[2]"إن القول بوجود علة بسيطة واللامتناهية بحيث أن الله ليس مركب وا ٍنما هو صورة مفارقة يسقط وحدة الله الذي هو يتصف بالكمال وبعيدا عن أي نقص.

[1] -يوسف كرم:تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة،مصر،د ط، 2012، ص148.

[2] -نفسه، الصفحة نفسها.

- **الصفات الثبوتية:**

وهي الصفات التي تنفي عن الله كل نقص أو تركيب " يظهر أنه ليس يليق بالله أن يكون كاملا لأن الكامل يقال كما مصنوعا صنعا تاما. والله ليس يليق به أن يكون مصنوعا فإذا ليس يليق به أن يكون كاملا. وأيضا أن الله هو المبدأ الأول للأشياء، ومبادئ الأشياء ليست كاملة فيما يظهر لأن النطفة في مبدأ الحيوان والبذرة مبدأ النبات، فإذا ليس الله كاملا"[1]،الله هو مبدأ أولي لا مادي وهو علة فاعلة وصفة الكمال تعني أن الله كامل أولا وا بتداءا، وليس أنه يكتسب الكمال كالأشياء المصنوعة وما هو موجود بالفعل هو كامل بل في غاية الكمال.

ولله صفات صادرة عنه "وأما الخير فإنه يدل على حقيقة الكامل الذي هو مشتهى وهكذا يدل على حقيقة الأخير، فإذا ما كان كاملا بالكمال الأخير يقال له خيرا مطلقا وأما من خلا عن الكمال الأخير الذي من شأنهأ يكون له فهو وا ن كان له كامل ما من حيث هو موجود بالفعل لا يقال مع ذلك كامل مطلقا ولا خيرا مطلقا بل من وجه"[2]، إن الله هو المصدر الأول للخير السابق عن الوجود فيفيض هذا الخير عن المخلوقات وبالتالي فإن الله هو العلة الأولى والخير فائض من طبيعة الذات الإلهية، إذن فالخير ليس موجود في جوهر الأشياء وا نما هو منبثق في الموجودات، والخير عند الموجودات يكون لمماثلة نسبية.

_ الأسماء المقولة على الله:

ينصرف الإكويني إلى الكلام عن الأسماء المقولة عن الله بعد التأكد من وجوده وينبغي إيضاح العلاقة بينه وبين مخلوقاته لكي يكون فهمه صحيحا، وهو يفرق بين الذات الإلهية وسائر الكائنات انطلاقا من أن الله قائم بذاته والكائن عاجز عن ذلك الله ليس جسما مركبا في حين أن الكائن مركبا أيضا ينبغي القول أن صفة اللامتناهي هو صفة له وحده

[1]- توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج1، مصدر سابق، ص51.

[2]- نفسه، ص58.

وأن القدرة الإلهية تستطيع أن تخلق الكثرة بدون أن تتعرض للنقص وكل هذا يعني أن الله واحد أحد، سرمدي* ثابت لا تبدل فيه، ويرى الإكويني أن الأسماء المقولة على الله ليست مترادفة أو زائدة إنما تدل على الله من اعتبارات متعددة مختلفة واستخدامها لنفي أو لإثبات نسبة العلة إلى المخلوقات وسنتناول بالدراسة أهم أربع صفات وهي العلم والإرادة والعناية والقدرة" أما العلم فيجب إضافته لله، ويتضح ذلك من كون الله في غاية التجرد عن المادة، مما يجعله بالتالي يتقبل صورة الشيء المعروف. إن الموجودات تتدرج ابتداءا من النبات الذي هو عاطل عن المعرفة بسبب ماديته، ثم الكائنات الحاسة التي يتاح لها المعرفة بسبب قابليتها للصور المجردة عن المادة "[1]،علم الله يختلف عن علم المخلوقات، فعلم الله هو جوهر وفعل خالص وعلم الكائنات عاطل بسبب ماديته.

وإذا كان تعقل الله هو عين وجوده كان وجوده أيضا هو عين إرادته. إن موضوع الإرادة هو الخير المعقول، فهي تميل إليه إذا لم يكن حاصلا وتسكن فيه وتحبه متى حصل. والمعقول يقال بالإضافة إلى العاقل، فلابد وأن عاقل الخير من حيث هو كذلك يميل إليه ويشتاق شوقا طبيعيا إليه، أي يريد الخير"[2]، إرادة الله تابعة لعلمه، ومعرفته خيرة بإرادته والخير الإلهي يفيض على غيره وهي غاية لمحبته بما يناسب ماهيته الإلهية.

" أن كل ما في الأشياء من خير مخلوق من الله، وأن هذا الخير لا يوجد فيها من حيث جوهرها فحسب، بل كذلك من حيث اتساقها نحو غاية، ولاسيما العناية القصوى التي هي الخيرية الإلهية. هذا الخير في اتساق الأشياء نحو الغاية القصوى هو نفسه مخلوق من

---

*- سرمدي: ما لا أول ولا آخر، فهو خارج عن مقولة الزمان وموجود بلا بدء ولا نهاية "الأبد غير متناهية الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب المستحيل، كما أن الأزل استمرار في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي، والسرمدي ما لا أول ولا آخر". أنظر: إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، د ط، الهيئة العامة للشؤون، المطابع الأميرية، جمهورية مصر العربية، 1983م، ص 97.

[1]- ميلاد ذكي غالي: الله في فلسفة الإكويني، مرجع سابق، ص71.

[2]- نفسه، ص77.

الله"[1]، العناية الإلهية تشمل جميع الأشياء بحيث تكون تحت رعايتها باشتراكها في الوجود والله مصدر كل خير والعناية ملائمة لله لأنه هو الغاية القصوى وهي عناية أزلية وليست محدودة.

يجب إضافة القدرة لله، لا القدرة المنفعلة وا نما القدرة الفاعلة. وذلك أن القدرة إما فاعلة وا ما منفعلة. ومن البين أن ما هو بالفعل وكامل هو المبدأ، بينما ما هو خال وناقص يكون منفعل. فإن ما يلائمه كل الملائمة هو أن يكون مبدأ فاعلا وألا ينفعل على أي نحو من الإنهاء"[2]، إن الله قادر على كل شيء بحيث يتصف بالقوة المنفعلة لا القدرة الفاعلة والقدرة موجودة في الله لكنها تختلف عند المخلوقات، فهي عند المخلوقات مبدأ للفعل ونتيجة الفعل أما عنده فهيأز لية وليست محدودة، وغير متناهية وقدرة الله تظهر في أثارها وهي قوة فاعلة وليس قدرة منفعلة فهو خالق غير مخلوق وقادر على الخلق.

المبحث الثاني: الوجود

ابتداء من الله المبدأ الأول للوجود، وانطلاقا من الأدلة الخمسة الدالة على وجود الله وصفاته، ينبغي أن نقر بوجود الله وا يضاح العلاقة بينه وبين مخلوقاته لكي يكون فهمنا صحيحا، وهي أن الله يكسب كل كائن صفة الوجود المرتبطة به " إننا نهدف لمعرفة من خلال المعرفة ذاتها و أن الوحي يعطينا المعرفة الأمينة عن الله وهو معرفة صادرة عن السماوات العلى أي أنها معرفة صادرة من المصدر الأصلي، ونحن نعرف عن طريق الوحي أن الله هو علة ذاته وهو أيضا علة كل المخلوقات ومن خلال الوحي نصل لمعرفة أن الله هو علة العلل وسبب وجودها. كل موجود يبدأ وجوده وينتهي تحت تأثير الحركة، والحركة وجدت لتحقيق كمال ما، يقولأر سطو "أن الحركة هي الطريق من القوة إلى الفعل، ذلك أي

[1]- ميلاد ذكي غالي: الله في فلسفة الإكويني، مرجع سابق، ص 82.

[2]- نفسه، ص 87.

ما دام الشيء بالقوة، لأبعد من ذلك، أي أن أكمل الفعل فحصلت الصورة"[1]، برهان الحركة هو برهان أرسطي وقد أخذ به توما الإكويني والتي عبر بها عن الوجود فالوجود لا يتحقق دفعة واحدة، والوجود في تغير فينتقل من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل وتكمن قوة وجود الشيء في المادة لتتشخص في العالم الخارجي .

"أن النظرة الأساسية الناقدة عندأر سطو هي التي يحاول أن يعبر عنها حين يقول أن الحركة هي فعل ما هو بالقوة أي التدرج من حالة القوة إلى حالة الفعل، فالوجود عنده أما بالقوة أو بالفعل، والحركة وسط بين القوة البحتة والفعل التام"[2]، القوة هي مبدأ الحركة أو التغيير الموجود في الكائن وتحقيق كماله لذلك يتحرك إليه، مع أنه لا يزيد عن كونه .

"الحركة مأخوذة هناك بحسب ما يقال حركة للتعقل والإرادة فيقال إذا الملاك جوهر متحرك على الدوام لكونه عاقلا بالفعل على الدوام تارة بالفعل وتارة بالقوة مثلنا"[3]، كل الأجسام مركبة وإن لم تنحصر في جسم فهي تنحصر في جوهرها كالملائكة فهي كائنات مجردة عن الأجسام لكنها كما قلنا منحصرة في جوهرها.

"فإذا النسبة الطبيعية إلى وجودها كنسبة القوة إلى الفعل فإذا ارتفعت المادة وجعلت الصورة قائمة بنفسها لا في مادة لا تزال أيضا نسبة الصورة إلى الوجود كنسبة القوة إلى الفعل وهذا الضرب من التركيب يجب اعتباره في الملائكة"[4]، الملائكة كائنات مركبة، ووجودها تتحقق بين القوة والفعل. يظهر أن الملائكة ليست كثيرة كثرة تحيل في الملائكة لتجردها عن الجسم كما مر بيانه، فإذا يستحيل أن تكون الملائكة كثيرة كثرة بالغة. وأيضا لما كان الشيء أقرب إلى الواحد كانقل تكثر ا كما هو ظاهر في الأعداد والطبيعة الملائكية

[1]- أرسطو طاليس: الطبيعة، تر: إسحاق بن حنين،الدار القومية للطباعة والنشر، ط1، 1964، ص 170.

[2]- اتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص 110 .

[3]-القديس توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج2، تر: بولس عواد، مج2، المطبعة الأدبية، بيروت، دط،1981،ص 10

[4]- نفسه، ص 15.

هي أقرب الطبائع المخلوقة إلى الله"[1]، الملائكة كائنات مجردة عن الجسم، ويستحيل أن تكون كثيرة كثرة بالغة فهي الكائنات الأقرب بالطبائع إلى الواحد لذلك كانت الأقل تكثرا.

"تعدد الأفراد ممكن فيها في النوع الواحد، لقسمة المادة المعنية، أما عن صلة الماهية في هذه الجوهر بالمقصودات المنطقية فهذا ما قد بيناه آنفا"[2]، يرى الإكويني في أن التركيب الموجود بين القوة والفعل في الكائن الحي الطبيعي نتجت عنه الكثرةوا ٍذا حصل فبدل العقل على عدة قوى حصلت الكثرة في إطار نفس النوع أو بعبارة أخرى فقد تحققت الصورة بموضوعات متعددة.

"بأن خير النوع أفضل من خير الفرد، فإذا كان كون الملائكة أنواع متكثرة أفضل جدا من كونهم أفراد متكثرة في نوع واحد"[3]، يعتبر الإكويني أن التركيب شرط ضروري يفسر الكثرة في العالم الخارجي فالله هو الذي جعل الأشياء مختلفة في النوع والعدد، وهذا الاختلاففي النوع والعدد يدل على قدرة الله والكمال اللامتناهي الناتج عن قصده وا ٍرادته فوجود نوع واحد من المخلوقات لا يمكن أن يختصر كمالات الله، لكل موجود ماهيته الخاصة التي تحدد نوعه التي بها يكتسب وجوده، فالله عند الإكويني هو جوهر بسيط غير مركب وعليه أولى والقوة التي توجد العالم بالفعل.

"أن هذه الفكرة فكرة دينية وليست فكرة فلسفية، ولما كان توما الإكويني حكيما دينيا في المقام الأول فإنه آمن بفكرة الخلق، آمن بأن الله خلق العالم كله من غير، مادة سابقة، خلقه بعلمه وقدرته وا ٍرادته"[4]، تتجلى قدرة الله في فعل خلق الكائنات بحيث تستوجب وجود قوة لا متناهية تمارس فعل الخلق وهذا بقدرته وعلمه اللامتناهيين.

---

[1]- القديس توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج2، مصدر سابق، ص16 .

[2]-حسن حنفي: نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط اوغسطين-انسلم-توما الاكويني، مكتبة الانجلوا المصرية، القاهرة، ط2، 1978 ص 277 .

[3]- نفسه، ص 278.

[4]- الشيخ كامل محمد محمد عويضة: الأعلام من الفلاسفة توماس الإكويني الفيلسوف المثالي في العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 104.

"فالله عنده خلق العلم من تعلقه لذاته .... وهذا ما يفسر لنا من ناحية ثانية أن يكفي أن يعلم الله ذاته حتى يعلم العالم. فتتعقل الله لذاته يخلق صورة مماثلة له، وهذه الصورة الأولى (الأثر أو الكلمة) تشمل الوجود أيضا المعرفة"[1]، أن الله يعرف من قبل الموجودات قبل أن توجد ويعقل ذاته، ففعل التعقل الأول يتضمن أيضا معرفة هذه الموجودات التي كانت ممكنة وأصبحت واجبة فقبل أن توجد المخلوقات كانت في عقل الله.

"فوجود الأشياء ملازم لمعرفتها مرتبط بوجودها، إن العلم لا يتأخر عن الوجود، والوجود لا يسبق المعرفة وإذا كان ثمة موجودات لا حصر لها فان هذه الموجودات ترفع إلى مجموعة الصور الحاصلة عن الكلمة، لكن لا شك أنه في المبدأ كان الكلمة أولا ..."[2]، يرى الإكويني أن الوجود مرتبط أشد الارتباط وغير منفصل عن المعرفة.

"فهي تعبر عن الماهية الله بمقدار ما تعرف هذه تحت شكل ما لأن الله هو الوجود بالذات. أن الماهية هي مبدأ إنتاج الأشياء جميعا ما عدا نفسه، فالله لا يعرف نفسه كنمط لفكرة ما. أن الفكرة تظهر عندما يعرف الله ماهيته بوصفها مبدأ المخلوقات التي سوف تكون هي المشاركات الممكنة له" [3]، إن ماهية الله واحدة تعبر عن ذاته ويعلمها بذاته، وهي مبدأ خلق وتعدد جميع المخلوقات ما عدا نفسه، ولكل مخلوق نمطه في المشاركة في ماهية الله وله أيضا نمطه في تشابهه مع هذه الماهية.

المبحث الثالث: الماهية والوجود

إن أكثر الصفات المشتركة بين الكائنات هي صفة الوجود، فالوجود تتلقاه الموجودات في العالم المادي كفعل والماهية بمثابة القوة بالنسبة للفعل واختلاف الماهية، فالموجودات تتلقى الوجود كفعل يلحق بماهيتها ويكمل نقصها واختلاف الماهية عن الوجود المركب ، هنا

[1]- الشيخ كامل محمد محمد عويضة: الأعلام من الفلاسفة توماس الإكويني الفيلسوف المثالي في العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 105.

[2]-نفسه، ص 106 .

[3]- نفسه، الصفحة نفسها.

الوجود يتغير مفهومه بحسب استخدامنا له، فهو يدل على الاشتراك بين الأفراد و أيضا يدل على ما هو خاص بكل موجود، فكل موجود يكتسب وجوده الخاص والمناسب لماهيته والمحدد لها بدقة، فمثلا فإن وجود الكائنات الطبيعية وجود نسبي وهي موجودة بالمشاركة فهي لا تملك صفة الوجود من ذاتها وصورة الوجود تصل إلى الموجودات بكيفيات مختلفة والوجود هو ما يكسب الماهية واقعيتها ويقينها ، والوجود عند القديس توما الإكويني يدل على تجريد الصفة المشتركة بين الأفراد المعنيين في الواقع دون إدخال الفوارق في النوع إلا أن الموجود يدل أيضا على الفوارق، لأن الفوارق والاختلافات بين الأفراد من الوجود وهذا تمييز مستوحى من الكثرة في الموجودات فنميز كل كائن بين ماهيته ووجوده، فالوجود هو مبدأ الوحدة والتعدد في الوقت عينه، ولا يوجد تشابه كامل بين الموجودات فصور الموجودات بكيفيات وبمقدار مختلف وهناك نوعين من الوجود الخالص والوجود اللامتناهي (الله) ووجود مكتسب (الكائنات) ويبقى وجودها، ممكن فقط تكتسبه عن طريق الخلق الصادرة عن إرادة الله الحرة وهنا"فإن توما بعد أن أدرك عجز العقل الإنساني عن البحث في هذه المسألة لأن الأدلة متكافئة فانه لجأ إلى الدين الذي يول بحدوث العالم في زمان و أن الزمان حادث شأنه شان العالم، ومن هنا كان قول توما الإكويني في النهاية أن بدى العالم قابل للإيمان غير قابل للبرهان ولا للعلم"[1]، يوضح الإكويني أن الزمان خلق وحادث كجميع المخلوقات و أن قدرة العقل محدودة بتعقل الموجودات تامة وهذا سبب لجوءه إلى الدين .

"أما عقائد الإيمان لا يمكن إثباتها بالبرهان لأن الإيمان يتعلق بغير المنظورات، وكون الله خالق العالم حادثة عقيدة إيمانية فإننا نقول أومن بإله واحد" [2]، العالم عند توماس الإكويني حادث وهو لا ينكر قدمه لا عقليا ولا فلسفيا.

[1]- الشيخ كامل محمد محمد عويضة: الأعلام من الفلاسفة، مرجع سابق، ص 108.

[2]- توماس الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج1 مصدر سابق، ص 566.

"فإذا حدوث العالم إنما يعلم بالوحي فقط ولذا يمتنع إثباته بالبرهان"[1]، الله هو العلة الكافية للعالم وحدوث العالم يعلم بالوحي ولا نستطيع إدراكه عقليا.

"ليست اعتبار الفاعل الجزئي الذي يقتضي سبق شيء ويصدرشيء ً آخر كالفاعل الكلي الذي يصدر الكلي الذي يصدر الكل. فإن الفاعل الجزئي يصدر الصورة ويقتضي سبق وجود الماهية"[2]، فيما يخص قدم العالم وحدوثه لم يقدم الإكويني دليلا عن قدم العالم ولا يمكن البرهنة عليه.

"الإنسان مركب من جوهر روحي وآخر جسمي، يؤلفان منه موجودا وسطا بين الملائكة والعجماوات*، موجودا واحدا يشارك على نحو خاص في خصائص المرتبة الدنيا "[3]، كل كائن حي فإنه يفنى بفناء الجسد والروح خالدة، أما الملائكة فهي صورة نوعية وكلاهما علمهما محدود وخلقا من قوة الفعل.

وقد تناول الإكويني مشكلة وجود الشر في هذا العالم وصلته بالله ويرى"عن مشكلة الشر الموجودة في هذا العالم فيعالجها الإكويني من منطلق موجود الكمال الإلهي فنحن نقول أن الله هو الكمال وهو الخير الأقصى وهو الوجود الخالص ولا يمكن لأي موجود من الموجودات الأخرى (بما في ذلك الابن) أن يصل إلى درجة الذات اللاهية في كمالها"[4]، تترتب الموجودات حسب كمالها، وهذا الترتيب من جهة صلتها بالله من حيث القرب والبعد وأيضا تترتب من جهة الشر والنقص، والشر أمر عارض وأساس في الوجود وهو الذي يفصل الله عما عداه.

---

[1]- توماس الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج1 مصدر سابق، ص 657.

[2]- زينب محمود الخضري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 260.

*- عجماوات: العجم، صغار الإبل وفتاياها، والجمع عجوم. أنظر: ابن منظور: لسان العرب، مج2 دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1955، ص 2829.

[3]- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص 155.

[4]- نفسه ، ص156.

إن غاية الإنسان القصوى هي بلوغ السعادة الحقيقية و المطلقة وهي رؤية الله وهذا ما تكلم عنه الإكويني" إن الغاية القصوى لكل شيء تقوم بكمال حالته ولهذا كان الجزء لأجل الكل على أنه غايته، ونسبة مجموع المخلوقات بأسره الذي يقال له عالم أكبر إلى الإنسان الذي يقال له عالم أصغر كمال في الطبيعيات نسبة الكامل إلى الناقص، فإذا سعادة الإنسان قائمة بمجموع المخلوقات كلها"[1]، إن الغاية القصوى التي يسعى إليها الإنسان لا تتمثل في أفعال الفضيلة الأخلاقية فهي تبقى وسائل، بل تتمثل في التأمل في الله الذي لا ندركه بالبرهان وا ٍنما بالإيمان، والإنسان يسعى لبلوغ السعادة وهذا لن يتم إلا برؤية وجه الله حتى يبلغ السعادة الأبدية.

"ويصبح هذا الوجود هو جوهر الأرسطي المتميز الذي يدل على الحد عليه، ولكن الحد الذي لا يكون إلا بالجنس البعيد والفصل القريب يدل على جوهر الشيء أي على ما به قوامه أو إن شئنا الماهية، فالماهية قريبة من الوجود إن لم تكن فيه، والجوهر طبيعة، والطبيعة هي ماهية الشيء والشيء هو فعله"[2]، الوجود عند أرسطو وجود واقعي كوجود الجوهر، ووجود فكري يربط بين الموضوع ومحموله بفعل الكينونة وهنا نجد أن توما الإكويني قد اختار الوجود بمعناه الأول بحيث أن الجنس والفصل تحديدات لمادة الموضوع نفسه و أن الماهية مرتبطة بالوجود.

"والجوهر منها البسيط والمركب، وتوجد ماهية في كليهما، ولما كانت الجواهر البسيطة تتمتع بوجود أشرف من الجواهر المركبة، توجد الماهية فيها على نحو أشرف وا ٍنها فضلا عن كونها (أي الجواهر المركبة) علة الجواهر المركبة "[3]، الله هو الوجود الأعظم والأشرف وهو الوجود الأول والجوهر البسيط، وتكون ماهيته هي عين وجوده، والجوهر

[1]- القديس توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج3، ترجمة بولس عواد، مج3، المطبعة الأوربية، بيروت، د ط، 1891، ص 197.

[2]-حسن حنفي: نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط أوغسطين-أنسلم-توما الاكويني، مرجع سابق، ص 118.

[3] - نفسه، ص 248.

المركب وهو الكائنات الطبيعية ووجودها يأتي ليكمل ما ينقص ماهيتها والجوهر البسيط هو من يوجد هذه الكائنات المركبة، لأن الموجودات المركبة ليس لها وجود كامل.

"الوجود هو فعلية كل صورة أو طبيعة لأن الخيرية أو الإنسانية لا يتعقل كونها بالفعل إلا بتعقل كونها موجودة إلا بتعقل كونها موجودة فوجب أن تكون نسبة الوجود إلى الماهية المغايرة له كنسبة الفعل إلى القوة ولما لم يكن في الله شيء بالقوة كما مر بيانه"[1]، لما كانت الماهية هي القوة والفعل هو الوجود، كلما كان تأثير القوة على الفعل إزاء قربه إلى الماهية التي هي علة الموجودات، فالماهية بمثابة القوة للفعل والفعل يأتي ليكمل ما ينقص الماهية.

"كما أن ماله نار وليس ذوا نار بالمشاركة وقد تقرر في الفصل الأنف أن الله نفس ماهيته فلوا لم يكن نفس وجود لكان موجودا بالمشاركة لا بالماهية "[2]، وجود الموجودات يكون نسبيا فقط فهي موجودة بالمشاركة، ولا يوجد تشابه كامل بين الموجودات والموجود الأول وهو الله وجوده هو عين ماهيته.

"إن كل شيء من الله بحقيقته الخاصة فإذا يلزم في العقل الإلهي صورة كثيرة إما أن ذلك كيف لا ينافي البساطة الإلهية لمن يلاحظ أن صورة المفعول تحصل في عقل الفاعل على شيء يعقل لأعلى أنه مثال به يعقل وهو الصورة التي بها يحصل العقل بالفعل فإن صورة البيت في عقل البناء شيء معقول منه شبهه يكون البيت في المادة "[3]،الموجودات قبل أن توجد كانت في عقل الله قبل خلقها وبعد خلقها شاركت الله في الوجود على نحو نسبي لأن الله هو علة وجودها، والوجود هو مبدأ الوحدة والتعدد فالموجودات تكون بصورة مختلفة والخلق هو اكتساب لفعل الوجود والموجودات صادرة عن إدارة الله الحرة.

---

[1]- القديس توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج1، مصدر سابق، ص 46.

[2]- نفسه، ص 46.

[3]- نفسه، ص 215.

"وهكذا بينا كيف توجد الماهية في الجواهر والأعراض، وفي الجواهر المركبة والبسيطة وفي جميع المقصودات المنطقية ولا يستثني من ذلك إلا المبدأ الأول، وهو بساطة لا متناهية لا تلائمه معاني الجنس أو النوع، ومن ثم لا يمكن حده لأنه بسيط "[1]، تعود تعدد الموجودات واختلافها إلى خالق واحد الذي بعلمه وبقدرته أوجد هذه الموجودات وأكسبها صفة الوجود وهي كائنات مركبة تستقبل وجودها عن طريق الخلق ووجودها مكتسب، إذن فالله هو الوجود الخالص الواحد واللامتناهي والبسيط الذي تنتفي معه كل صفة مكتسبة وكل شيء صادر عن إرادته الحرة.

[1]-حسن حنفي: نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط أوغسطين-أنسلم-توما الاكويني، مرجع سابق، ص 283.

الفصل الثالث

التأمل العقلي عند توما الإكويني

المبحث الأول: معرفة النفس الإنسانية عند توما الإكويني

المبحث الثاني: المعرفة العقلية عند توما الإكويني

المبحث الثالث: المعرفة بين العقل والنقل

تعد مسألة المعرفة وطريقة الحصول عليها من أهم القضايا التي شغلت الفكر خاصة فلاسفة اللاهوت حيث يسعى الإنسان دائما إلى بلوغ الحقيقة ومن بين هذه المعارف المعرفة الإلهية والكشف عنها ونجد العقل البشري دائما يسعى لهذه المعرفة وبلوغها لكن دائما ما نجده يعجز عن تفسير بعض القضايا فيسلم بها، ومن بين القضايا أيضا التي شغلت علماء اللاهوت في العصور الوسطى هي النظر في العلاقة بين العقل والنقل أي العقل والإيمان وبأيهما نسلم.

المبحث الأول: معرفة النفس الإنسانية عند الإكويني.

خلق الإنسان ثنائي التركيب أي من روح ومن جسد لذلك يشارك الكائنات العلوية في بعض صفاتها، كما يشارك الكائنات الحسية في صفاتها أيضا، وهي مشاركة نسبية، فالله وحدة الكامل وعلة الموجودات، ومنه الموجودات تتشارك معه في بعض الصفات نسبيا فقط، وفي حديثنا عن المعرفة في هذا المبحث عن كيفية حصول النفس عن المعرفة عند توماس الإكويني.

يرى الاكويني" أن وجود الحياة في الكيانات الحية هو الدليل الأول على أن كلا منها يتجلى بنفس مبدأ الحياةوهذا ليس جسما وا ٍلا صارت كل الأجرام حية هذا المبدأ متميز إذا عن الجسم، وهو موجود في الإنسان كما في الحيوان والنبات، لكن النفس الإنسانية متمايزة في أنها ذات إدراك عقلي مجرد غير جسمي أي ليس آلة جسمية، فلو كان آلة جسمية لمنعه تركيبه المادي من إدراك الماهيات المجردة وهو ما نلاحظه في عجز الحواس الظاهرة من ضبط الحقائق المجردة"[1]، كل كائن حي لديه نفس موجودة لدى كل من الإنسان النبات والحيوان إلا أن النفس الإنسانية تختلف عن غيرها، وذلك من خلال إدراك العقل المجرد.

"فالإدراك العقلي مختلف في طبيعته عن القدرات الجسدية، فإذا كانت قدرات الحس والنمو ملازمة للجسد فإن القدرة العقلية الخاصة بالإنسان وحده، هي روحية مجردة تدعى النفس"[2]، إن الإدراك العقلي بطبيعته مختلف وهو خاصية إنسانية عكس القدرات الجسمية المرتبطة بنمو الجسم.

إنه من خلال" البحث في طبيعة النفس ينبغي التنبه إلى أن النفس تسمى المبدأ الأول للحياة في ما هو حي عندنا، فأننا ندعوا حي ما كان ذا نفس، وغير حي ما ليس بذي نفس

[1]- توما الإكويني: المعرفة، يوسف كمال الحاج، أطلع عليه يوم 13-04-2018: http://www.almarefa.org

[2]- نفسه.

والحياة تظهر بأجلي ما تظهر في فعلين، المعرفة والحركة"[1]، إن كل شيء فيه نفس يعني أنه كائن حي،وإن انعدمت فهو عار عن الحياة وبالتالي فإن النفس هي المبدأ الأول للحياة.

"وكونه على صفة مخصوصة بالفعل إنما يحصل له من مبدأ يقال له فعله، فإذا النفس التي هي مبدأ الحياة الأول ليست جسما بل فعلا للجسم كما أن الحرارة التي هي مبدأ التسخين ليست جسما بل فعلا للجسم"[2]، كل الكائنات الحية تتجلى بنفس التي هي مبدأ الحياةوهذا ليس جسما وإلا كانت كل الأجسام حية والنفس ليست جسم لأنها لو كانت جسما لكان هو مبدأ الحياةوإنما النفس هي فعلا للجسم. يظهر إن النفس الإنسانية ليست آلة جسمية فلو كان كذلك لمنعته تركيبته المادية من إدراك الماهيات وهذا ما يبرر عجز الحواس عن ضبط الحقائق المجردة فالمعرفة العقلية تختلف عن القدرات الجسدية لأنها خاصة بالإنسان.

"فإذا ما يقال من أن الإنسان والبهيمة متماثلان في مبدأ التكون يصدق من جهة الجسد لأن جميع الحيوانات صنعت من الأرض سواء لا من جهة النفس لأن نفس البهائم تصدر بقوة جسمية أم نفس الإنسان فتصدر عن الله وبيانا لذلك قيل عن البهائم (لتخرج الأرض نفسا حية) وعن الإنسان أن الله (نفخ في وجهه نسمة الحياة)"[3]، بما أن الإنسان والحيوان قد خلقا من نفس التكون من ناحية الجسد، فإن الجسد مركب قابل للانحلال والنفس روحانية بسيطة غير قابلة للانحلال والتجزؤ، وجسد الحيوان والإنسان بما أنهما صنعا من تراب فأنهما يعودان إليه والروح تعود إلى الله الذي وهبها.

---

[1]- ماهر عبد القادر محمد، حربي عباس عطيتو: دراسات في فلسفة العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، دط، دس، ص 482.

[2]- توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج2، مصدر سابق ، ص 251 .

[3]- نفسه، ص 252 .

و" أما من جهة النفس فليس في ذلك تماثل لأن الإنسان يعقل والبهائم ليست عاقلة فإذا غير صحيح قوله (للإنسان فضل على البهيمة) فهما متماثلان موتا من جهة الجسد وليست من جهة النفس"[1]، إن كلا من الإنسان والحيوان متماثلان من جهة فناء الجسد، أما من جهة النفس فهما مختلفان لأن الإنسان له القدرة على التعقل عكس الحيوان الذي لا يمتلك هذه القدرة وفعل التعقل هذا لا يكون دون الخيال والذي هو خاص بالنفس ولا يكون دون الجسد.

وا ٍنه "من طبع النفس أن تتصل بالبدن كما أن من طبع الجسم الخفيف أن يتصعد، وكما أن الجسم الخفيف يبقى بعد مفارقة مكانه الخاص خفيفا ولكن مع بقاء استعداده له ونزوعه إليه كذلك النفس الإنسانية بعد مفارقتها للبدن تبقى في وجودها مع استعدادها للاتصال به ونزوعها الطبيعي إليه"[2]، كما قلنا سابقا أن النفس روحانية بسيطة غير قابلة للانحلال والتجزؤ وهي تخلد ولا تتعرض للفساد وهذا راجع إلى كون الإدراك العقلي قدرة مطلقة من حدود المحسوس الذي هو ذات حدود المحسوس ذات نزعة طبيعية إلى البقاء أي إلى الخلود الذي يتجاوز المحدودات الحسية.

وهنا "يظهر إن المبدأ العاقل ليس متكثرا بكثر الأبدان بل إنما للناس كافة عقلا واحدا لأنه جوهر مجرد ليس بكثرة العدد في نوع واحد، والنفس الإنسانية جوهر مجرد إذا ليست مركبة من مادة وصورة فليست متكثر ة في نوع واحد بل جميع الآدميين نوع واحد لجميع الآدميين عقل واحد"[3]، يحاول الإكويني توضيح بأن جميع البشر متساوين في العقل،و أن العقل البشري واحد وهو ميزة البدن الإنساني عن غيره.

[1]- توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية ج 1، مصدر سابق، ص 263.

[2]- نفسه، ص 272.

[3]- نفسه، الصفحة نفسها.

"يرى الشيء المعقول واحد سواء كان عقل واحد أو أكثر لا الشيء الذي يعقل ليس يحصل في العقل بذاته بل يشبهه فليس يحصل في النفس الحجر بل صورة الحجر ومع ذلك الذي يعقل هو الحجر لا صورة الحجر التي لا تعقل إلا بانعكاس العقل على ذاته وا ٍلا لم يكن مدار العلوم على الأشياء بل على المثل المعقولة ولما كان يجوزان يتشبه كثير بشيء واحد بحسب صور مختلفة وكان الإدراك يحصل بتشبه المدرك بالمدرك لوزم جواز أن يتعلق الإدراك كثير بشيء واحد كما يتضح في الحسن فان كثيرا يبصرون اللون الواحد بأشباه مختلفة وهكذا يجوز ان تعقل عقول كثيرة معقولا واحد"[1]، يرى الإكويني بأن تلك الحالة التي نعقل بها ليس لأنه تظهر إلى طبائع الأشياء فهو يرى بأنها مفارقة للمادة بحيث يرى بأن النفوس متكثرة فقط وهذا لأنها محددة في حقيقة واحدة ونوعية.

و"بأنه ليس يجب اتصال النفس العاقلة بالجسم لأجل الفعل العقلي في ذاته بل لأجل القوى الحسية التي تقتضي لها آلة معتدلة ولهذا وجب أن تتصل النفس العاقلة بهذا الجسم المتصلة به لا بعنصر بسيط أو بجسم مزاجي غلبت فيه النار من جهة الكمية للزوم امتناع الاعتدال تغلبت قوة النار الفعلية على أن هذا الجسم المعتدل له ميزة على غيره يبعده عن الأطراف المتضادة مما يشابه الجسم السماوي نوعا من المشابهة[2].النفس مجردة وهي مستقلة عن الجسم، فكان على النفس أن تتصل بالأجسام لأن النفس العاقلة صورة غير فاسدة على عكس البدن القابل للفناء.

وهنا "يظهر أن القوى لا تتمايز بالآثار والموضوعات إذا ليس يتعين شيء إلى نوع هو متأخر أو خارج، والأثر متأخر عن القوة والموضوع خارج عنها، فإذا لا تتمايز القوى لهما في النوع، وأيضا أن المتضادات ما كانت في غاية التباين فلو كانت القوى تتمايز بالموضوعات لزم عدم تعلق قوة واحدة بالمتضادات وهذا بين البطلان في جميع القوى تقريبا

[1]- توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية ج 1، مصدر سابق، ص 276.

[2]- نفسه، ص 287.

فان الأبيض والأسود يتعلق بهما قوة باصرة واحدة والحلو والمر يتعلق بهما قوة ذائقة واحدة"[1]، القوى النفسانية لا تتجه بالذات إلى الحقيقة الخاصة بأحد الضدين مثلا أن البياض السواء تميزهم قوة واحدة وهو البصر والحلو والمر تميزهم قوة واحدة وهو الذوق لما القوى النفسانية لا تتجه إلى طرف دون الزاخر بل تتجه إلى الحقيقة المشتركة بينهما.

"يظهر أن القوى النفسانية بأسرها موجودة في النفس وجود الشيء في المحل لأن نسبتها إلى النفس نسبة القوى الجسمانية إلى الجسم، والجسم محل للقوى الجسمانية، فالنفس إذا تحل للقوى النفسانية وأيضا أن أفعال العزى النفسانية تسند إلى البدن باعتبار النفس لان النفس هي أول ما به نحس ونعقل والمبادئ الأولى لأفعال النفس هي القوى، فالقوى إذا موجودة أولا في النفس"[2]، نسبة القوى النفسانية موجودة في النفس فالنفس هي محل القوى النفسانية كما هو حال القوى الجسمانية بالنسبة للجسم فكان الجسم هو محل هذه القوى والنفس هي محل القوى النفسانية.

"جميع القوى النفسانية مخلوقة معا مع النفس، فإذا ليست إحداهما صادرة عن الأخرى، و أيضا لأن قوة النفس تصدر عن النفس صدور العرض عن المحل، ويمتنع كون إحدى القوى النفسانية محلا للأخرى إذا ليس العرض عرض، فإذا ليست إحدى القوى صادرة عن الأخرى، وأيضا ليس يصدر المقابل عن مقابلة بل كل شيء إنما يصدر عن مماثلة في النوع، والقوى النفسانية متقابلة على أنها أنواع مختلفة، فإذا ليست إحداها صادرة عن الأخرى"[3]، القوى النفسانية لا تصدر قوة عن قوة أخرى فلا يمكن أن تصدر قوة عن قوة أخرى قابلة لها وهي أنواع مختلفة فلا تصدر إحداها عن الأخرى.

---

[1]- توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية ج 1، مصدر سابق، ص 302.

[2]- نفسه، ص 306.

[3]- نفسه، ص 310.

" النفس تحصل على المعرفة فأمر لا يعود إلى تذكر المثل كما يقول أفلاطون، إلى اشتراك المعقولات من العقل الكلي عبر النفس الكلية كما يقول أفلوطين، أومن العقل العاشر كما يقول الفارابي وابن سينا، بل المعرفة تحصل بالاجتهاد العقلي عبر الحواس والمتخيلة وذلك استنادا إلى التجربة والاستدلال هكذا يركب العقل القضايا المنطقية بقواه الذاتية والتجربة والاستدلال معا"[1]، إن النفس الإنسانية تحصل على المعرفة من خلال استخدام مدركات سابقة وتجارب واستعمال القوى العقلية كالاستدلال من خلال الاجتهاد العقلي عبر ما تكسبه الحواس من خيارات سابقة.

"وهو يقرر بعضهم أن العقل الخالد يوجد النفوس البشرية، ومن ثم فأنهم يقررون أن النفس التي هي احد جزئي الإنسان يجب أن تكون فانية"[2]،

المبحث الثاني: المعرفة العقلية عند الإكويني.

العقل ميزة الكائنات البشري وهو بما يملك من قوى يستطيع التمييز بين المعارف والوصول إلى حقائق في حدود قواه وهو كما أنه الميزة التي تمييز الإنسان عن باقي الكائنات الحية ومن خلاله تكتمل المعرفة بالاستناد إلى الإيمان و"يشكل العقل عند الإكويني قوة طبيعية، ومبدأ جوهري بالنسبة إلى الإنسان، إلى أنه أداة ضرورية لبلوغ الحقيقة، فلا بد من التمييز بين الطبيعة البشرية والطبيعة الحيوانية وحتى الإلهية أيضا، وهنا لا مكان للعقل الإنساني إلا في صورته الاستدلالية، والاستدلال عنده هو انتقال العقل من شيء معقول إلى شيء آخر وصولا إلى الحقيقة المعقولة التي لا يمكن الوصول إليها عن طريق الحدس أنه انتقال من مبادئ إلى نتائج في حركة استدلاليه منطقيا مع طبعا من حقائق إيمانية منزلة"[3]، يمثل العقل عند الإكويني قوة طبيعية ومبدأ جوهري بالنسبة للإنسان بحيث يؤكد أنه أداة

[1]-توما الإكويني: المعرفة، يوسف كمال الحاج أطلع عليه يوم 13-04-2018 : http//www. Almarefa .org

[2]- الشيخ كامل محمد محمد عويضة: الإعلام من الفلاسفة توماس الاكويني الفيلسوف المثالي في العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 73.

[3]- إيميل أمين: القانون الطبيعي عند توما الإكويني، أطلع عليه يوم 14-04-2018: www.anamaw .com 2007.

ووسيلة ضرورية للوصول إلى الحقيقة وذلك من خلال قوى العقل كالاستدلال للوصول إلى الحقيقة المعقولة.

و"إن العقل يلتقط الماهيات المطلقة للكائنات أي الأجناس والأنواع فيكون عقلا فاعلا، ثم يدرك تفصيلاتها الجزئية فيكون عقلا منفعلا وهنا يحدث أمر مهم وهو أن العقل الفاعل يتلقى الإشراق* من الله لكي تتم له معرفة المعقولات أي الماهية المجردة، هكذا إن الإنسان يدرك الأفكار الروحانية بواسطة التذكر لأن هذه الأفكار موجودة فيه أصلا إذا كانت النفس تعرفها قبل سقوطها إلى الأرض، كما يعارض الحسين الذين ينفون عن العقل القدرة على إدراك المعقولات"[1]، من خلال ما يملكه العقل من قوى في طبيعته كالتذكر والاستدلال وغير ها، تجعل منه قادرا على امتلاك معرفة والوصول إلى الحقيقة وتكون قادرا على إدراك أوامر الشريعة بواسطة الإشراق من الله.

وفي حديثنا عن "العقل المنفعل أو الهيولاني ليس النفس أو أحد أجزائها، فيتصل بكل واحد منهم بواسطة الصور الخيالية وهكذا يحتوي الإنسان بناء على ما ينسبه توماس الإكويني إلى خصمه على ثلاث ذوات مختلفة هي، الجسم العقل الهيولاني والعقل الفعال [2]. يؤكد الإكويني أن المعرفة لا تعودللى النفس وا إنما تكمن في العقل الذي قسمه الى عقل فعال وعقل منفعل أو الهيولاني والعقل هو جوهر مشترك بين الناس.

"القوى الإدراكية فهي في الباطن للعقل الهيولاني موضوعه الخاص كان الإنسان يصير بحسن استعداد هذه القوى الذي يساعد عليه حسن استعداد البدن أهلا للتعقل ولذلك

---

* - الإشراق: إنما هو خروج من الظلمة إلى النور، فيكون الوجود كله نور، بهذا الاعتبار، ويكون أقرب الموجودات إلى النور الأنوار أكثرها كما لا يكون أبعدها عنه أقلها نورا وبهاءا، والمثل الأعلى للحكيم أن يتوغل في التأله والبحث. أنظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، د ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 93.

[1] -إميل أمين: القانون الطبيعي عند توما الإكويني، أطلع عليه يوم 14-04-2018: .www.anakaw.com 2007.

[2] - الشيخ كامل محمد محمد عويضة: الأعلام الفلاسفة توماس الاكويني الفيلسوف المثالي في العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 78.

جاز أن تكون الملكة العقلية موجودة في هذه القوى الموجودة إما بالوجود الثاني إما بالوجود الأول فهي موجودة في العقل الهيولاني"[1]، العقل الهيولاني هو محل الإدراك وهو محل الملكات العقلية فيصير الإنسان متعقلا مع حسن استعداد البدن لهاته القوى.

إن فعل العقل يتعلق بالموجود على الإطلاق، فإذا يمكن اعتبار كون العقل بالفعل أو بالقوة من طريق اعتبار نسبته إلى الموجود الكلي، فمن المعقول ما نسبته إلى الموجود الكلي نسبة العقل للموجود بأسره، وهذا هو العقل الإلهي الذي هو نفس الذات الإلهية الموجود فيها.

الفعل يخرج من القوة أي من العلة الأولى للخلق الذي يعقل الموجودات بحيث لم يكن العقل الإلهي موجودا بالقوة بل بالفعل، فالمعقول التي تمتلكها الموجودات فعلا للموجود الكلي، الغير متناهي والعقل الإلهي هو العقل الأول وهو موجود بالقوة بالنظر للمعقولات.

"إن هذا العقل المفارق بجوهره هو العقل الفعال الذي يشرف على الصور الخيالية فيجعلها معقولة بالفعل، ولكن ان هناك عقلا فعالا مفارقا هذه صفته، فلا بد مع ذلك أن يكون في النفس الإنسانية قوة مشاركة لذلك العقل الأعلى لما تجعل النفس المعقولات معقولا بالفعل"[2]، إن ما كان بالمشاركة شيء يقتضي أن يكون هناك شيء قبله وكامل والنفس الإنسانية تكون عاقلة بمشاركتها بقوة عقلية أعلى لكي تستمد منه النفس الإنسانية قوة التعقل.

"طبيعة العقل المكتسب أو العقل بالفعل، وكلا التعبيرين سواء لديهما ذلك لأن توماس يقول (بأنه خالد كالعقل الفعال، ومعنى ذلك أن النفس الإنسانية تحتفظ بعد مفارقتها البدن بكل المعارف التي أدركتها في حياتها الدنيا"[3]، كما قلنا سابقا بأن النفس روحانية بسيطة غير قابلة للتجزؤ والانحلال وهذا راجع إلى كون الإدراك العقلي قدرة مطلقة من حدود

[1]- توماس الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج4، ترجمة بولس عواد،مج 4، د ط، المطبعة الأدبية،بيروت 1898،ص 101

[2]- الشيخ كامل محمد محمد عويضة: الأعلام من الفلاسفة توماس الاكويني الفيلسوف المثالي في العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 133. 134 .

[3]- نفسه، ص 137.

المحسوس الذي هو ذات نزعة طبيعية إلى الفناء أي إلى الخلود الذي يتجاوز المحدودات الحسية.

"فالمعرفة العقلية يمكن ان تكون لها وجود بدون الخطوة الأولى التي يخطوها العقل عن طريق الحواس فالإحساس يدفع العقل الدفعة الأولى التي بدونها لا تكون له حركة ولا تكون هناك معرفة عقلية على الإطلاق"[1]، لا يعود الخلود إلى القوة المرتبطة بالأعضاء والتي تكون فانية بل يعود إلى القدرات التي تعمل وحدها أي إلى العقل.

"أعطى القديس توما العقل، في تكوين المعرفة اللاهوتية، دورا كبير ولكنه يعرف أنه يجب ألا يطلب إلى العقل إعطاء ما لا يستطيع"[2]، وضح القديس توما أن العقل يستطيع الإلمام والوصول إلى الحقيقة وتكوين معرفة لكنه يبقى محدود ولا يستطيع تجاوز قدراته.

يميز بين مجالين فيقول (بعض الحقائق المتعلقة بالله تتجاوز إطلاقا قدرة العقل البشري، ومنها عقيدة التثليث ويمكن لبعض الحقائق الأخرى ان تدرك عن طريق العقل الطبيعي، ومنها وجود الله، ووحدته) ويعترف القديس توما بأن بعض الفلاسفة المهديين بنور العقل الطبيعي، عرفوا كيف يثبتون الحقائق من النوع الثاني ويبنونها إذا يمكن الاقتداء بهم، أما الحقائق النوع الأول فخطأ وحماقة محاولة إقرارها بالعقل لأنها تتجاوز العقل أكد الإكويني أن العقل البشري قادرا على إدراك لكن ليس أكملها لأن هناك حقائق تتجاوز القدرات العقلية...ولا يستطيع العقل الطبيعي .

ونجد أن " توما الإكويني جعل العقل، الذي يخصه الإشراق الإلهي، قادرا على إدراك كل المعقولات شرط ان يجتهد للحصول عليها عبر الاحتكاك المباشر بالعالم أي عبر التجربة والاستدلال الإنسان كائن حر لأنه عاقل، ينزع إلى الخير الكلي عبر الفضيلة، وتشكل الخير أن الجزئية حوافز له فيطلبها، ولكنه يستطيع تجاوزها يسعى إلى الخير الكلي

[1]- اتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص 317.

[2]- إيميل أمين: القانون الطبيعي، أطلع عليه يوم 14-04-2018: www.Anakaw .com 2007 .

وهذا أيضا دليل تمتعه بالحرية، شكل محبة النفس لله حالة فضلى أي أنها خير من معرفتها له"[1]، إعمال العقل بالتأكيد يؤدي بنا إلى المعرفة وبالتالي الخير وهذا لأنه بتأمله بالموجودات يكسب معارفه، كما أنه يسعى للخير الكلي وهذا بإرادته.

"إن العقل من خلال الإشراق الإلهي من خلال احتكاكه بالعلم ومعارفه المكتسبة وذلك من خلال التجارب يستطيع أن يعقل ويدرك كل ما هو خير، لأن الطبيعة الإنسانية تسعي إلى الخير الكلي. أن الله يهب الإرادة قدرة على التحرك بحرية، كما يهب العقل القدرة على الإدراك بجهده الحر الخاص فيكون الإنسان مسؤولا لأنه مخير وليس مسير"[2]، كما وضحنا أن العقل لديه قدرات ومن خلالها ومن خلالها نستطيع التمييز بين ما هو شر وما هو خير انطلاقا من إرادته الحرة، الخاصة وبذلك يكون الإنسان مسؤول عن اختياره.

" يحمل الاتجاه الفلسفي عند توما الإكويني طابع العبقرية اللاتينية التي هي صديقة الوضوح، بل ويمكن القول أنه يحمل طابع العبقرية الإيطالية الميالة إلى الإجهاد القانوني والبارعة في حل القضايا التشريعية، ففي التوليفة التومائية نجد أن حقوق العقل وواجباته، بالنسبة إلى الإيمان، محددة بوضوح ولكن ليس بإمكان العقل ان يحفظ مكانه ويقوم بدوره في تلك التوليفة، إذ لم يكن ممتلكا استقلالها ذاتيا كافيا"[3]، يحاول الإكويني هنا أن يوضح عجز العقل أمام الأحكام التشريعية لأن العقل يبقى محدود.

و"يرى أنه غير المحتمل ألا يكون في النفس العاقلة مبدأ بموجبه نستطيع أن تظهر فعاليتها الطبيعية، فذلك ما يحصل إذا قبلنا بمبدأ. وجود عقل فعال واحد سواء سميناه الله أم العقل، وهذا ما يتعلق بكرامة الإنسان يمتلك عقلا فعالا خاصا به. وهذا أمر يعلق بكرامة الإنسان، إذا كيف يمكن أيضا تعريف هذا الأخير بأنه حيوان عاقل إذا كان لا يملك في ذاته

[1]- إيميل أمين: القانون الطبيعي، أطلع عليه يوم 14-04-2018: www.Anakaw .com 2007.

[2]- نفسه.

[3]- نفسه.

وبصورة خاصة ما يجعله إنسانا أولا وهو العقل"[1]، ميزة الإنسان هو أنه كائن عاقل ومن خلاله تتميز معرفته على غيره وكل هذه المخلوقات قبل أن توجد كانت في العقل الإلهي فهو يعقل جميع المخلوقات بينما العقل البشري تبقى محدودة ويعجز في تفسير بعض الظواهر.

القانون الطبيعي عند الإكويني:

بحث الاكويني عن القانون الطبيعي الذي في النهاية يقودنا إلى معرفة الله و"مؤكدة أنه من الخطأ حصر فكر الإكويني لجهة تعاطيه مع مسألة القانون الطبيعي وحسب ذلك لأنه أولى حل اهتمامه للبحث عن القانون أصله ونشأته وأركانه وأفاض فيه، والقانون عند الإكويني أربعة أنواع"[2]، بحث الإكويني في مسألة القانون وقدرة العقل على التمييز بين القوانين والضوابط الخيرة التي تقودنا لمعرفة الله والخير والأمور التي نهانا عنها.

1- من القوانين الطبيعية التي بحث فيها الكويني نجد " القانون الأول Eternel Law: يطابق التدبير الآلهة للعالم أو القانون الذي يحكم به العالم وهو الحكمة الإلهية المنظمة للخليقة ومن ثم فهذا القانون يسموا بطبيعة البشرية ويعلوا فوق فهم الإنسان ومع ذلك فهو لي غريبا عن الإدراك الإنساني أو مضاد قواه العقلية"[3]، هنا يوضح الإكويني في هذا القانون الإلهي أو أوامر الله التي وجب التقييد بها لأنها تقودنا إلى الغاية المنشودة التي يسعى الإنسان إلى بلوغها إلا إذا إدراك العقل هذه الأوامر وعقلها وتقيد بها.

2- ويرى الاكويني في هذا القانون "القانون الطبيعي Natural Law: وهو بمثابة انعكاس ملكة الإلهية على المخلوقات وهي تتجلى في رغبات الإنسان الطيبة التلقائية في فعل الخير ومعنى هذا أن القانون الطبيعي هو القانون الذي يحكم به العقل أو النفس الفاضلة التي

[1]- إيميل أمين: القانون الطبيعي، أطلع عليه يوم 14-04-2018: www.Anakaw .com 2007.

[2]- نفسه.

[3] - نفسه.

تتأثر بالقانون الأزلي"[1]، تكلم الإكويني في هذا القانون الطبيعي بأنه الميزة التي تحكم العقل أو النفس الفاضلة التي تهوى وتتأثر بالقانون الأزلي وتريد الوصول إليه بشدة.

3- أما في "القانون الإلهي المقدس devine Law: ويتمثل في الشرائع والأحكام التي أتت عن طريق الوحي أو التبليغ كالشريعة الخاصة التي أنزلها الله على اليهود في اللوحين المحفوظين وكالتشريعات المسيحية التي جاءت عن طريق الكتب المقدسة أو الكنيسة وهذا القانون الإلهي يكون بمثابة التبدي الواضح كالقوانين إذا هو أساسها ومبدأها"[2]، تتجلى في القوانين والأحكام والضوابط التشريعية التي جاءت من خلال الوحي ويمكن من خلالها التعرف على الله وأوامره.

4-بالإضافة إلى"القانون الإنساني humane Law : ولما كان من المتعذر تطبيق الأنواع كليا وعاما فلقد قام القانون الإنساني الذي وضع خصيصا ليلائم الجنس البشري وهو القانون الإنساني الخالص وإن كان لم يأتي بمبادئ جديدة إذا هو مجرد تطبيق للمبادئ العظمى التي سادت من قبل"[3]، يؤكد الإكويني في هذا القانون أنه جاء انطلاقا من الأحكام التي جاء بها الوحي لتحكم في أفعال البشر وتلائمه وهو قانون إنساني خالص وهي مستمدة من المبادئ أو الأحكام العظمى الأزلية

وفي حديثه عن القانون "يرى الإكويني أن طاعة القانون واجبة طالما كان عادل أم القانون الظالم فإذا كان معارضا للقانون الطبيعي والقانون الإلهي، والقانون الأزلي فلا تجوز له الطاعة بأي حال من الأحوال، أما اذا كان معارضا لحق ثانوي فرعي فيطاع متى كانت مخالفة أشد خطرا على المجتمع"[4]، يؤكد الإكويني على ضرورة تطبيق القانون لأن به تستقيم الحياة، وتمكنه من الوصول إلى الخيار الخير وبه تصلح الحياة وتستقر به.

---

[1]- إيميل أمين: القانون الطبيعي، أطلع عليه يوم 14-04-2018: www.Anakaw .com 2007.

[2]- نفسه.

[3]- نفسه.

[4]- نفسه.

"يؤكد الإكويني في خلاصته اللاهوتية على أن الإدراك الطبيعي هو شيء مشترك بين البشر أجمعين لذلك يتفقون في قواعد الخير الإنسانية كالامتناع عن السرقة عن الكذب والتعدي وإن كانوا يختلفون في تفاصيل أخرى عائدة إلى ظروف الحياة وأطوارها وللعزة الإلهية، كما يرى الإكويني دور محوري في هذه الأمور فالعقل الإنساني الطبيعي ليس إلا التي شاءها الله وجعلها تطلب الخير"[1]، يقر الإكويني على أن العقل لديه القدرة على التمييز بين خير الأمور وشرها وبإمكانه معرفة ما هو صح وما هو باطل كالسرقة والكذب.

"والثابت حكما أنه لكل نوع من أنواع الكائنات الحية نظام يرتب حياته ويبرز هذا النظام بشكل جلي لدى بعض منها كالنمل والنحل لكن خضوع هذه الكائنات للنظام يصدر عن الغريزة فلا معرفة واعية لديها أو إرادة حرة في التقييد بها إما في المجتمعات الإنسانية فالأنظمة مرتبطة بالعقل والإرادة أي أنها نوع من التعاقد البشري"[2]، المجتمع البشري يحتاج إلى ضوابط وأحكام تسير حياتهم فهو في حاجة للقانون هذه القوانين راجعة للعقل الذي درسها وجعلها قوانين بين الناس للتحكم في تصرفاتهم والانقياد إليها، يكفل حياة مستقرة.

المبحث الثالث: المعرفة بين العقل والنقل عند الإكويني.

القديس توما شانه شأن كل الفلاسفة المسلمين وغيرهم من فلاسفة الديانات الأخرى، اشتغل بقضية العلاقة بين العقل والإيمان فنجد أن الحقيقة عند الفلاسفة مصدرها العقل، أما اللاهوتيين فالحقيقة عندهم لديها اختلاف بين العقل والإيمان و"الإيمان في تعريفه الأعمق، هو فعل الإدراك المباشر للكينونة المستقلة والعقل في تعريفه الأعمق هو فعل التفكر المتراكم في هذه الكينونة في الوحي الإيماني، القلب كينونتا مفتوح وفي المعرفة العاقلة ،البصيرة كينونتا متأهبة الحالتان تدلاننا إليه تعالى فأما إن نراه إذا كنا أطهار القلوب أو لا نراه إذا كنا

[1]- يوسف كمال الحاج، الوحي الديني والمعرفة الفلسفية متوازيان يلتقيان في نقطة الحقيقية، أطلع عليه يوم 13-04-2018: maber àscsnet .org hg.

[2]- نفسه.

غلاظ البصائر، أنهما تسداننا في اتجاهه فأما أن تتلهف إلى ملته محب وتطلع، أو نقع في حالة من التشدد الذاتي هي في المطلق الذاتي هي في المطاف الأخير، تسدد ذاتي نحو الكينونة، الصراع الأخير في ذات كل منا هو بين إنسان الكينونة والسلاحان المتاحان، والواحيان للفوز بهذا الصراع، هما العقل والإيمان"[1]، إن الإيمان يحمل في طياته أحكام شرعية يطمئن لها القلب وتبعث في قلبه الطمأنينة وتقربه من معرفة الله.

يمكن تحليل هذه العلاقة من خلال بعدين متكاملين، البعد الأول يتجسد في علاقته سببية ديناميكية بمعنى أن الله هو مبدأ كل الخلائق ومنه تستمد الوجود والنشاط، بالإضافة إلى ما تقوم به كل منهما بحسب طبيعتها الخاصة، والإنسان إذا بحسب عقلوا إرادته الحرة والبعد الثاني يشكل علاقة الغائية وهي تعني أن الله هو غاية جميع العلائق والله تعود لتسبحه وتمجده، والإنسان يسعى نحو الله لأن مشاهدة الله هي هدف حياته وغايتها النهائية. يوضح الإكويني أن الله هو واحد كل الموجودات والحقائق و أنه هو الذي منه تتم معرفة الأشياء كما أن الحقائق تسعى لتحقيق هدف وغايته النهائية.

"يدرك الإنسان غايته هذه بواسطة عقله الذي تطبعه الحكمة الإلهية وتنيره نعمة الابن، فنجد في فكر الإكويني أن الأفعال الإنسانية تنبع من مصدرين مرتبطين جوهريا، مصدر داخلي متمثل في مجموع القدرات الإنسانية والعادات التي توافقها والفضائل التي يكتسبها الإنسان، مصدرها خارجي متمثل في الله ذاته وهو يدعوا الإنسان إلى نفسه، أي إلى الخير الأسمى، فالأفعال التي يقوم بها الإنسان تصدر عن المعرفة المتاحة للعقل بنور الشريعة الإلهية"[2]، هنا يحاول الإكويني أن يوضح أن كل أفعال الإنسان الخارجية من إرادات

[1]- يوسف كمال الحاج، الوحي الديني والمعرفة الفلسفية متوازيان يلتقيان في نقطة الحقيقية، أطلع عليه يوم 13-04-2018: maber àscsnet .org hg.

[2]- نفسه.

الشريعة التي تقوده إلى الخير الذي هو الله،و أن إرادة الإنسانو أهدافه وأفعاله صادرة من دور الشريعة الإلهية.

"يقول القديس توما (إن التعليم المقدس قد يستخدم العقل الإنساني لكن ليس لإثبات الإيمان لان ذلك ناسخ لاستحقاق الإنسان بل لإيضاح ما يورد فيه مما سوى الإيمان لأنه لما كانت النعمة لا تنسخ الطبيعة بل تكملها وجب أن تخدم العقل الطبيعي الإيماني ... ولذلك ما يستشهد التعليم المقدس بأقوال الفلاسفة أيضا في ما قدروا على إدراكه بالقوة الطبيعية فاللاهوت تتجاوز حدوده، وهذه المبادئ هي الحقائق الضرورية وأي أدلة عقلية تناقضها تكون مرفوضة فالحقائق الإيمانية عند الإكويني تتجاوز العقل الإنسانيوا إذا كانت لا تتناقض معه، وهذه الحقائق لا يمكن إدراكها بالعقل بل عليه قبولها"[1]، أراد الإكويني القول بأن العلم الإلهي لا يناقش بل يسلم به فهو يتجاوز المعرفة العقلية وعلى العقل يسلم قبواها والتسليم بها.

"ونرى أن الإكويني بدا بحثه الفلسفي ببيان الصلة بين العقل والنقل فيبدأ أولا بتحديد موضوع الفلسفة العامة أو الميتافيزيقا، أي الحكمة والله بمعنى واحد فنطلق عليها اسم الحكمة ولنبحث في موضوعها والغاية منها، إما موضوع الحكمة فهو ترتيب الأشياء"[2]، هنا بين الإكويني موضوع الفلسفة أي الحكمة والذي يرى أنها ترتب المعارف للوصول إلى المعرفة اليقينية حتى يتمكن الإنسان من القدرة على الهيمنة على الأشياء.

"ولكن كل حكمة في كل باب من العلم هي حكمة جزئية لأنها تعنى بناحية خاصة من نواحي الكون فلنبحث عن حكمة أخرى تشمل الكون كالله، ويكون موضوعها هذا الوجود كالله فنجد أن هذه الحكمة العامة هي التي تبحث في الله من حيث تترتب الأشياء بالنسبة

[1]- يوسف كمال الحاج، الوحي الديني والمعرفة الفلسفية متوازيان يلتقيان في نقطة الحقيقية، أطلع عليه يوم 13-04-2018: maber àscsnet .org hg.

[2]- نفسه.

إليه، ومن حيث كونه خالقها"[1]، أراد الإكويني هنا أن يبحث عن حكمة تشمل جميع نواحي الكون موضوعها الوجود كالله لان الحكم الجزئية لتشمل جميع نواحي الكون، والتي هي وهو علة العلل الأولى، وان موضوع الكلمة هو الله وان الله عقل وما هو معقول هو الحكمة.

"يظهر أن ليس الإيمان وحده فكما أن الإيمان موهبة من الله كذلك يجعل الحكمة والعلم أيضا في جملة مواهب الله والفرق بين الحكمة والعلم أن الحكمة تتعلق بالأزليات والعلم يتعلق بالزمنيات"[2]، الزمن ليس هو موضوع الإيمان إلا بالنسبة للشيء الأزلي والحق الأول، والإيمان الذي يتعلق بالأزليات والإيمان الذي يتعلق بالزمنيات واحد، بخلاف الحكمة والعلم فهما ينظران في الزمنيات والأزليات باعتبار حقائقها الخاصة.

"بأن هذا العلم قد يمكن أن يستفيد من التعاليم الفلسفية لافتقاره إليها افتقارا ضروريا، بل لزيادة إيضاح ما يتضمنه لأنه ليس يستفيد مبادئه من علوم أخرى بل من الله ابتداء بالوحي ولذا هو ليس يستفيد من العلوم الأخرى على أنها أعلى منها بل يستخدمها على أنها ادني منه وجوارا له"[3]، أن الوحي يستفيد من التعاليم الفلسفية ويستخدم العقل الإنساني من أجل إيضاح ما يورد فيه وليس لإثبات لأنه هناك حقائق إيمانية نسلم بها فقط ولا يستطيع العقل بلوغها، والفلسفة هي أدنى مرتبة من الوحي.

"توماس الإكويني فرأى أن الفلسفة يمكن أن تكون أداة يستعان بها في مجال علم اللاهوت على أن تظل محتفظة باستقلالها وعلى أن تظل دائما مجرد أداة"[4]، سعى توما الإكويني أن يوهم حدودا واضحة بين مجالي الفلسفة والدين بحيث جعل الفلسفة أدنى مرتبة من الدين دون الخلط بينهما.

---

[1] - يوسف كمال الحاج، الوحي الديني والمعرفة الفلسفية متوازيان يلتقيان في نقطة الحقيقية، أطلع عليه يوم 13-04-2018: maber àscsnet .org hg.

[2] -نفسه.

[3] - نفسه.

[4] - زينب محمود الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 152-153.

"العقل لا يختلط موضوعه بموضوع النقل، وعلى حد تعبير توما الإكويني، الحقيقة الواحدة لا تقبل مصدر بين المعرفة: العقل والنقل. وستنتهي تبعا لهذا القول النظري إلى القول بأن العقل قادر على إدراك كل شيء، ولكن في الواقع وعمليا سنجد العكس من ذلك ونظرا لما نراه من أن العقل وحده لا يستطيع أن يستقبل بموضوعه فإنه لابد أن يؤتي النقل"[1]، العلم المقدس قد يستخدم العقل الإنساني للإيضاح ما يكمن فيه، فبعض مبادئ العلم المقدس لا تناقش بالعقل الطبيعي فهي تتجاوز حدوده وا ٍن كانت لا تتناقض معه، وأن جميع حقائق الإيمان لا يمكن إدراكها بالعقل.

"ومن ناحية أخرى نرى أن النقل قد اختص لنفسه أشياء معينة، في داخلها وحدها يجب أن يحول. ولا ضير عليه بعد ذلك أن يأتي العقل فيحدد مضمونه بوضوح لأن الإيمان أقل أنواع المعرفة درجة في الوضوح وذلك لأنه في حالة المعرفة الإيمانية لا يدرك بوضوح: المبنى العقلي للحقيقة الإيمانية"[2]، يؤكد الإكويني أن المعرفة العقلية أقل من المعرفة الإيمانية التي هي دقيقة وواضحة فبالعقل يفهم الوجود وعند عجزه على تفسير الظواهر فإنه يسلم من خلال الوحي.

"حاول توما الإكويني أن يوفق بين العقل والنقل. فإذا تعمقنا المسألة بطريقة أفضل قلنا إنه من الناحية الإيمانية يلاحظ أنه. إذا كانت المعجزات والنبوات تؤدي إلى الحقيقة، والحقيقة واحدة فبالتالي لا يمكن العقل أن يتعارض مع النقل. ومن ناحية أخرى يلاحظ أن المعرفة الفلسفية هي التي تقوم على المبادئ العقلية وهذه المبادئ توضع في العقل عن طريق الله"[3]، يرى الإكويني أنه لا يمكن للحقيقة العقلية أن تتعارض مع الحقيقة الإيمانية

[1]- زينب محمود الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 135 .

[2]- نفسه، ص 136.

[3] -عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص135.

فالحقيقة واحدة لهذا لا يمكن التعارض والتضاد والتناقض بين الحقيقتين فكل المعارف توضع في العقل البشري عن طريق الوحي أي الأفكار الفطرية.

ونجد أن "هناك ثلاث طرق لمعرفة الله: بالعقل، وبالوحي، و بالإدراك المباشر للأشياء التي سبقت معرفتها بالوحي وحده، على أنه لا يكاد يقول شيئا إطلاقا عن الطريقة الثالثة"[1]، لم يتكلم الإكويني على الطريقة الثالثة للإدراك المباشر بحيث نجد أنه أكد على أن الطريق لمعرفة الله تكون عن طريق العقل والإيمان، فالديانات حدثت على إعمال العقل وذلك من خلال التأمل في الموجودات وقدرته على الخلق ولهذا أكد أن العقل هو الذي يخدم الحقيقة الإيمانية.

"وبعد هذه التوفيق بين العقل والنقل يبدأ بالفصل بين الاثنين فيقول إن العقل ميدانا، وللنقل ميدانا آخر، وهما مختلفان سواء من ناحية المنهج ومن ناحية الترتيب. فمن ناحية يشتق العقل مبادئه مما غرس فيه من مبادئ عقلية ولا يهيب إلا بسلطات العقل"[2]، حاول الإكويني أن يبين في فصله بين العقل والنقل في أن لكل منهما منهجا مختلفا عن الآخر فالنقل يستمد على ما جاء به الوحي وما يتفق مع كمال الله وأيضا ما يتفق مع قدرته المطلقة بحيث يبدأ النقل من الله كي يصل إلى المحسوس وهذا الطريق هو الطريق الصحيح لأن الله يعلم ذاته ويدرك الأشياء أما فيما يخص العقل فهو يختلف عن النقل من ناحية الترتيب بحيث نجده ينتقل من المحسوس إلى المعقول على عكس النقل.

[1] - عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص136.

[2] -نفسه، ص 137.

خـــاتمة

خاتمة:

من خلال ما تم عرضه يمكننا أن نقدم النتائج المستخلصة من هذا البحث كالتالي:

- سيطرت الكنيسة خلال العصور الوسطى على كل فروع المعرفة آنذاك وبذلك أطلق على علماء ذلك العصر أنهم علماء لاهوت.

- برزت ظاهرة التقليد في الفكر المسيحي وذلك لأسباب منها: أولا ارتكازهم على الكتاب المقدس من جهة واعتمادهم على آراء اليونان القدامى من جهة أخرى.

- ضل القديس توما الاكويني متأثرا بفلسفة أرسطو ورأى نفسه من خلاله واعتبره آخر مرحلة من مراحل التفكير الإنساني.

- نجد أيضا أن الاكويني قد تأثر بفلاسفة مسلمين أمثال ابن سينا وخاصة ابن رشد، ونجد له اثر واضح في فكره.

- وضع الاكويني خمسة أدلة للبرهنة على وجود الله كما عرض صفاته والأسماء المقولة عنه واعتبر أن مسألة الله هي أولى المسائل وأهمها.

- تناول الاكويني مسألة الوجود وأن فعل الوجود يكتسب عن طريق الخلق الذي هو فعل حر صادر عن نمطي العقل والإيمان الإلهيين .

- يستخدم الاكويني المنهج العقلي للبرهنة على الوجود الإلهي، إذ يعتمد على التأمل العقلي لمعرفة الله.

- عصب هذه الميتافيزيقا أو أساسها هو مفهوم السببية الذي يعده الاكويني مبدءا عقليا كليا يسمح بالانتقال من الأثر إلى العلة.

-يرى الاكويني أن الفلسفة لا تناقض الدين بل تخضع له، و أن العقل الإنساني يستخدم من أجل البحث عن الحقيقة من أجل إثبات بعض الحقائق الإيمانية، و أن الفلسفة هي أدنى مرتبة من الدين.

- إن العلم المقدس يستخدم العقل الإنساني لإيضاح ما يكمن فيه.

خاتمة

- يقر الاكويني أن الحقائق العقلية لا تتعارض مع الحقائق الإيمانية، فالمعرف توضع في العقل عن طريق الوحي وانه هناك طرق لمعرفة الله بالعقل وبالوحي وبالإدراك المباشر للأشياء.
- يربط الاكويني التفكير العقلي بالدين ولم يحصره في إطاره بل اكتشف العلاقة بينهما واعتبر الإيمان نتيجة يخلص إليها التفكير المستند على الحواس والعقل.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

أولا: المصادر

1 -توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج1، ج2، ج3، ج4، ج5 ترجمة بولس عواد، المطبعة الأدبية، د ط، 1882.

ثانيا: المراجع

الكتب بالعربية

1- إتيين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، الكويت، ط3، 1996.

2-أرسطو طاليس: الطبيعة، حققه وقدم له عبد الرحمان بدوي، الدار القومية والنشر القاهرة، دط ،1964.

3- إميل بريهيه تاريخ الفلسفة ج3، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1 ،1983.

4- برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة زكي نجيب محمود، مج 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط،2010.

5- جونو بوجوان: تاريخ الفلسفة والعلم في أوربا الوسيطية، ترجمة على زيعور، علي مقلد، مؤسسة عز الدين، بيروت، دط،1993.

6- حسن حنفي: نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط اوغسطين-انسلم-توما الإكويني، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط2، 1978.

7- زينب محمود الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار الثقافة، القاهرة، دط ،1983.

8- الشيخ محمد محمد عويضة: الأعلام من الفلاسفة توماس الإكويني الفيلسوف المثالي في العصور الوسطى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993.

9- عاطف العراقي: النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد، دار المعرفة، القاهرة، ط2 ،1984.

قائمة المصادر والمراجع

10- عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، دار القلم، بيروت، ط3، 1979.

11- ماهر عبد القادر محمد، حربي عباس عطيتو: دراسات في فلسفة العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، دط، دت.

12- محمود قاسم: نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توما الإكويني، مكتبة الأنجلو، القاهرة، دط، دت.

13- ميلاد ذكي غالي: الله في فلسفة القديس الإكويني، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط، دت.

14- أبو الوليد ابن رشد: الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ترجمة محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2 ،1964.

أبو الوليد ابن رشدتهافت التهافت انتصار ا للروح العلمية وتأسيس لأخلاقيات الحوار،

15- مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1998.

16- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، مصر، د ط، 2012.

المعاجم والقواميس:

1- إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، د ط، الهيئة العامة للشؤون، المطابع الأميرية، جمهورية مصر العربية، 1983م.

2- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، د ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.

3- ابن منظور: لسان العرب، مج2، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1955.

المواقع الإلكترونية:

1-توما الإكويني: المعرفة، يوسف كمال الحاج http://www.almarefa.orge

2-إميل أمين: القانون الطبيعي عند توما الإكويني، 2007 www.anakaw.com

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

مقدمة 1

الفصل الأول: الخلفية التاريخية لفكر توما الإكويني

المبحث الأول: طبيعة المناخ الفكري لفلسفة الإكويني. 6

المبحث الثاني: السياق الفكري لفلسفة توما الإكويني. 17

المبحث الثالث: المعرفة عند ابن رشد وتوما الإكويني 20

الفصل الثاني: المعرفة الإلهية عند توما الإكويني

المبحث الأول: الله في فكر الإكويني. 32

المبحث الثاني: الوجود عند الإكويني 38

المبحث الثالث: الماهية والوجود 41

الفصل الثالث: التأمل العقلي عند توما الإكويني

المبحث الأول: معرفة النفس الإنسانية عند الإكويني 49

المبحث الثاني: المعرفة العقلية عند الإكويني 54

المبحث الثالث: المعرفة بين العقل والنقل عند الإكويني 61

خاتمة 68

قائمة المراجع 70

فهرس المحتويات 71